الباب الثاني

أصحاب الصِّحاح الستة

الباب الثاني: أصحاب الصِحاح

الصِّحاح هي: الكتب التي التزم مصنفوها جمع الأحاديث الصحيحة.

المستدركات جمع: مُسْتَدرَك، والمستدرك هو كل كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر مما فاته على شرطه؛ كالمستدرك على الصحيحين، للحاكم.

الجوامع جمع: جامع، والجامع في اصطلاح المُحدِّثين: كلُ كتاب حديثي، يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها في العقائد، والأحكام، والرقاق، وآداب الأكل والشرب، والسفر والمقام، وما يتعلق بالتفسير، والتاريخ، والسير، والفتن، والمناقب والمثالب، وغير ذلك.

أصحاب الصِّحاح الستة

مدخل عن أصحاب الصِّحاح الستة

الإمام أبو عبدالله، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن حارث، ينتهي نسبه إلى عمرو بن الحارث الأصبحي المدني (٩٣-١٧٩ هـ)، ثاني الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة والجماعة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي. يُعد كتاب الموطأ من أوائل كتب الحديث وأشهرها في ترتيبه وتركيبه، وفي اجتهاده ونقله، وفي حديثه وفقهه، وقد كان أعظمَ مرجع في عصره وأقدمَه.

الإمام أبو عبدالله، محمدبن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجعفي مولاهم(ولاء إسلام لا ولاء رق)، البخارى بلدًا (١٩٤ - ٢٥٦ هـ)، صاحب (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ، وسُنَنه وأيامه)، المعروف بـ: (صحيح البخاري).

الإمام أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وَرد بن كوشاذ، القشيري نسبًا، النيسابوري بلدًا (٢٠٦ - ٢٦١ هـ). صاحب المُسند الصحيح المختصر من السُّنَن، بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، المعروف بـ: (صحيح مسلم).

الإمـام أبو بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالـح بـن بكـر السُّلمِـي النيسابـوري(٢٢٣ - ٣١١ هـ)، صاحـب «المُسنـد الصحيح بنقل العدل عـن المتصل العدل مـن غير قطع في السند ولا جَـرْح في النَّقلة» المعروف بـ: (صحيح ابن خزيمة).

الإمـام أبو حاتم، محمد بن أحمد بـن حبان بن معاذ بن معبد بن سَهيـد التميمـي الدارمـي البُستـي (٢٧٠ - ٣٥٤ هـ) الحافـظ، المحـدّث، المـؤرخ، القاضـي، شيـخ خراسـان، من كبـار أئمة علم الحديـث والجـرح والتعديـل. صاحـب «المُسنـد الصحيـح علـى التقاسيـم والأنواع، من غير وجود قطع في سندها، ولا ثبوت جرح في ناقليها»، المعروف بـ: (صحيح ابن حبان).

الإمـام أبو عبدالله، محمد بن عبـدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيـم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بـ: ابن البيع، الملقب بالحاكم (٣٢١ - ٤٠٥ هـ)، ولُقِّبَ بالحاكم لتوليه القضاء مرة بعد مرة، ثم اعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف، تولى السفارة بين ملـوك بنـي بويـه وبـين السامانيـين فأحسـن السفـارة. صاحب (المستدرك على الصحيحين في الحديث).

الإمام مالك بن أنـــــس (٩٣ - ١٧٩ هـ)

شيخ الإسلام، وحجة الأمة، وأمير المؤمنين في الحديث، إمام دار الهجرة أبوعبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري المدني.

ولد الإمام مالك ﷺ – على الأصح – في سنة ثلاث وتسعين من الهجرة عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ في ذي المروة، وهو مكان به عيون ماء ومزارع وبساتين، كأنه واحة في الصحراء، يقع على بعد ١٨٠ كم شمالي المدينة النبوية، ثم انتقلت الأسرة إلى العقيق – وهي ضاحية على بضعة أميال من المدينة النبوية، ثم استقرت فيها، وبها نشأ الإمام مالك. وكان مشتغلاً باستطلاع الآثار وأخبار الصحابة وفتاويهم، فحفظ القرآن الكريم في صدر حياته، ثم اتجه إلى حفظ الحديث النبوي فمنَّ الله عليه بحفظه، وتعلُّمِ الفقه الإسلامي[١].

طلب الإمام مالك العلمَ وهو ابن بضع عشرة سنة، وتأهّل للفتيا، وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة، وحدَّث عنه جماعة وهو حيٌّ شابٌّ طري، وقصدَه طلبة العلم من الآفاق في **آخر دولة أبي جعفر المنصور** وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في **خلافة الرشيد**، إلى أن مات.

قال الشافعي: «العِلمُ يدور على ثلاثة: مالك، والليث، وابن عيينة». وذكر أحمد ابن حنبل مالكًا فقدّمه على الأوزاعي، والثوري، والليث، وحماد، والحَكم، في العلم، وقال: «هو إمام في الحديث، وفي الفقه»[٢].

قال البخاري: أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر. كان مالك إذا أراد أن يخرِّج أي:يحدِّث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، – فقال: أوقر به حديث رسول الله ﷺ.

١- الدقر، عبدالغني: الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢١.

٢- الذهبي، أبو عبدالله محمد ابن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٧ ص١٥٠- ١٥٣، دار الحديث بالقاهرة، طبعة عام ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

قال البكري الأندلسي: و(ذو المروة) من أعمال المدينة قرى واسعة وهي لجهينة؛ كان بها سبرة بن معبد الجهني صاحب رسول الله ﷺ وولده إلى اليوم فيها، بينها وبين المدينة ثمانية برد، و «الحزواء» من وراء ذي المروة على ليلتين. ذكرها الجغرافي الراحل الشيخ حمد الجاسر في كتاب (بلاد ينبع) ومع أنه لم يزرها إلا إنه حدد موقعها بدقة وذكر بأنها هي (أم زرب). قلت: وهي قريبة جدًّا من (أبو حرامل).

محنة الإمام مالك من قبل والي المدينة جعفر بن سليمان، وكان ذلك من غير علم أبي جعفر المنصور؛ لأن المحنة كانت بعد مقتل محمد النفس الزكية سنة ١٤٥هـ، أي بعد أن اجتُثت الفتنة من جذورها.

حدَّث عنه خلق من الأئمة، منهم السفيانان، وشعبة، وابن المبارك، والأوزاعي، وابن مهدي، وابن جريج، والليث، والشافعي، والزهري شيخه، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهو شيخه، ويحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن يحيى الأندلسي، ويحيى بن يحيى النيسابوري.

أبرز شيوخه الذين تتلمذ عليهم[١]:

(١) ربيعة بن أبي عبدالرحمن فروخ، التيمي مولاهم، أبو عثمان المدني، المعروف بربيعة الرأي، وقد أخذ عنه الفقه، وروى عنه في الموطأ: اثني عشر حديثًا.

(٢) أبو بكر عبدالله بن يزيد المعروف بابن هرمز، المتوفى سنة (١٤٨ هـ)، فقد روي عن مالك أنه قال: «انقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين – وفي رواية ثمان سنين – لم أخلطه بغيره».

(٣) نافع مولى عبدالله بن عمر المتوفى سنة (١٢٠ هـ)، وكان يلقب بـ (فقيه المدينة)، وقد روى له مالك في الموطأ ثمانين حديثًا.

(٤) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة (الزهري) بن كلاب القرشي.

(٥) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني، أبو سعيد القاضي.

(٦) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو المنذر.

(٧) عبدالله بن ذكوان القرشي، أبو عبدالرحمن المدني، المعروف بأبي الزناد.

(٨) زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر بن الخطاب ﷺ.

(٩) عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، المدني، القاضي.

١ – أحمد مختار رمزي، سير أعلام المحدِّثين، ص ٣٦ – ٣٩، دار البشائر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٦م.

(١٠) عبدالله بن دينار العدوي مولاهم، أبو عبدالرحمن المدني مولى عبدالله بن عمر بن الخطاب.

(١١) إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري المدني.

(١٢) سالم بن أبي أمية، أبو النضر، مولى عمر بن عبيدالله التيمي المدني.

(١٣) سُمَي، مولى أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام.

أبرز تلاميذه:

(١) محمد بن إدريس الشافعي، صاحب المذهب الشافعي.

(٢) عبدالله بن وهب المصري.

(٣) عبدالرحمن بن القاسم.

(٤) عبدالله بن عبد الحكم.

(٥) معن بن عيسى، وكان من الملازمين له ملازمة تامة، وسمي بعصية مالك أي: عصا مالك.

(٦) أشهب بن عبدالعزيز القيسي.

(٧) أسد بن الفرات.

صورة قديمة للمدينة النبوية ويظهر فيها المسجد النبوي الشريف تعود إلى أوائل القرن الهجري الماضي

أخلاقه وصفاته

قوة حافظته

كان الإمام مالك إذا استمع إلى شيء استمع إليه بحرص ووعاه وعيًا تامًا، حتى إنه ليسمع نيفًا وأربعين حديثًا مرة واحدة، فيجيء في اليوم التالي ويُلقي على من استمعها منه، وهو ابن شهاب الزهري، أربعين حديثًا، مما يدل على قوة حفظه ووعيه، حتى قال له الزهري: «أنت من أوعية العلم، وإنك لنعم المستودَع للعلم». وقال الإمام مالك: ساء حفظ الناس، لقد كنت آتي سعيد بن المسيب وعروة والقاسم وأبا سلمة وحميدًا وسالمًا-وعدَّد جماعة- فأدور عليهم، أسمع من كل واحد من الخمسين حديثًا إلى المئة، ثم أنصرف وقد حفظته كله من غير أن أخلط حديث هذا في حديث هذا.

فطنته

اتصف الإمام مالك بقوة الفِراسة، ولقد قال الإمام الشافعي في فراسته: لما سِرتُ إلى المدينة ولقيت مالكًا وسمع كلامي، نظر إليَّ ساعةً، وكانت له فراسة، ثم قال لي: «ما اسمك؟»، قلت: «محمد»، قال: «يا محمد، اتق الله، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك الشأن من الشأن». ولقد قال أحد تلاميذه: «كان في مالك فراسةٌ لا تخطئ».

تحليه بالصبر

عُرف الإمام مالك بصبره ومثابرته، مغالبًا لكل الصعاب، غالبَ الفقر حتى باع أخشاب سقف بيته في سبيل العلم، وكان يذهب في الهجير إلى بيوت العلماء، ينتظر خروجهم، ويتبعهم حتى المسجد، وكان يجلس على باب دار شيخه في شدة البرد، ويتقي برد المجلس بوسادة يجلس عليها، وكان يقول: «لا يبلغ أحد ما يريد من هذا العلم حتى يضر به الفقر، ويؤثره على كل حال». وكان يأخذ تلاميذه بذلك، فيحثهم على احتمال المشاق في طلب العلم بالقول والعمل. وكان الإمام مالك يعمل في نفسه ما لا يُلزمه الناس، وكان يقول: «لا يكون العالم عالمًا حتى يعمل في نفسه بما لا يفتي به الناس، يحتاط لنفسه ما لو تركه لم يكن عليه فيه إثم».

هيبته ووقاره

كان الإمام مالك ذا هيبة ووقار، يهابه تلاميذه، حتى إن الرجل ليدخل إلى مجلسه فيُلقي السلام عليهم فلا يردُّ عليه أحد إلا همهمة وإشارة، ويشيرون إليه ألا يتكلم مهابةً وإجلالاً. كما كان يهابه الحكام، حتى إنهم ليحسُّون بالصغر في حضرته، ويهابه أولاد الخلفاء، رُوي أنه كان في مجلسه مع أبي جعفر المنصور، وإذا صبي يخرج ثم يرجع، فقال أبو جعفر: «أتدري من هذا؟»، قال: «لا»، قال: «هذا ابني، وإنما يفزع من شيبتك». بل كان يهابه الخلفاء أنفسهم، فقد رُوي أن الخليفة المهدي دعاه، وقد ازدحم الناس بمجلسه، ولم يبق موضع لجالس، حتى إذا حضر مالك تنحى الناس له حتى وصل إلى الخليفة، فتنحى له عن بعض مجلسه، فرفع إحدى رجليه ليفسح لمالك المجلس. وهكذا كان شيخ المدينة مهيبا، حتى صار له نفوذٌ أكبر من نفوذ واليها، ومجلسٌ أقوى تأثيرًا من مجلس السلطان من غير أن يكون صاحب سلطان، قال ابن الماجشون: «دخلت على أمير المؤمنين المهدي، فما كان بيني وبينه إلا خادمه، فما هبته هيبتي مالكًا»، وقال سعيد بن أبي مريم: «لقد كانت هيبته أشد من هيبة السلطان».

صفاته

كان الإمام مالك طويلاً جسيمًا، شديد البياض إلى الشقرة، عظيم الهامة، حسن الصورة، أصلع، أعين، أشم، أزرق العينين. قال عيسى بن عمر المدني: «ما رأيت بياضًا قط أحسن من وجه مالك، وكان عظيم اللحية عريضها». وكان ربعةً من الرجال، وكان يأخذ أطراف شاربه لا يحلقه ولا يحفيه، ويرى حلق الشارب مُثلة، ويترك له سبلتين طويلتين، ولم يكن يخضب شعره، وقد ذَكر أحمد بن حنبل عن إسحاق بن عيسى الطباع قال: رأيت مالكًا بن أنس لا يخضب فسألته عن ذلك فقال: «بلغني عن عليٍّ ﷺ أنه كان لا يخضب».

- مالك بن أنس، عبدالغني الدقر، ص٣٨٣-٣٨٥.
- مالك، محمد أبو زهرة، ص ٨٩ - ٩٢.

محنة الإمام مالك بن أنس (•)

بسبب المضار والمفاسد العظيمة المترتبة على الخروج على الحكام لم ير مالك الخروج عليهم في عهد بني العباس، وإن كانوا ظالمين وجائرين، وبعد أن ارتفعت مكانته ومنزلته عند الخاصة والعامة، حتى جلس الخلفاء بين يديه، وقرأ الأمراء له، وأخذ الخلفاء بمشورته، وصدع الناس لما أمرهم به حسده على ذلك بعض أهل العلم ممن يؤثرون الدنيا، ويسعون إليها، ووشوا به عند أمير المدينة جعفر بن سليمان في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور؛ وذلك سنة ١٤٧هـ، وكانت التهمة: أن مالكًا لا يرى أيمان البيعة للخلافة هذه بشيء.

أفتى الإمام مالك رحمه الله أن يمين المكره لا تلزمه، وذلك عملًا بالحديث الموقوف على ابن عباس: ليس لمكره، ولا لمضطهد طلاق؛ وهو صحيح عن ابن عباس، ولا يصح رفعه، وقد علقه البخاري في كتاب الطلاق.

نظرًا لعلم أبي جعفر المنصور أن الإمام مالكًا لن يسكت عن نشر العلم أمر واليه على المدينة: جعفر بن سليمان أن يدس على مالك من يسأله عن هذا الحديث على رؤوس الناس، وبالفعل أجاب مالك على المسألة، وروى حديث ابن عباس، وعندها أرسل جعفر بن سليمان من قبض على الإمام مالك، واحتج عليه بما رفع إليه عنه، فلم ينكر الإمام، ولم يخش في الله عز وجل لومة لائم، فأمر جعفر بتجريده من ملابسه، وضربه بالسياط، وجذبت يده حتى انخلعت من كتفه، وعذبه عذابًا شديدًا، وأهانه، وتعمد إسقاط هيبته ومنزلته بكل هذه الإساءات، ولكن الله عز وجل قد رفع قدر مالك بعد هذه المحنة، وازداد رفعة بين العالمين، وهذه ثمرة المحنة المحمودة؛ فإنها ترفع صاحبها عند المؤمنين.

عندما علم أهل المدينة بما جرى للإمام مالك اشتد سخطهم على الوالي، وتطاولوا عليه، بل وعلى الخليفة نفسه، خاصة وأن مالكًا قد أصيب في هذه المحنة بعجز كبير في ذراعه: بحيث لم يقدر بعدها على رفعها إلا بمساعدة ذراعه الأخرى، وقد جلس في بيته، وشعر الخليفة أبو جعفر المنصور بمرارة ما فعل؛ فأرسل إلى الإمام مالك يعتذر إليه، ويتنصل مما فعله واليه، ولما جاء أبو جعفر إلى الحجاز حاجًّا أرسل إلى مالك، واجتمع معه، وبالغ له في الاعتذار؛ وذلك كله لتطييب خاطر العامة أولًا، ثم الإمام ثانيًا، وإلا فجميع ما وقع بعلمه وبأمره. والله أعلم.

• شريف عبدالعزيز الزهيري، محنة الإمام مالك بن أنس، موقع الألوكة.

مخطوط من صفحات موطأ الإمام مالك بن أنس رحمه الله

- موطأ الإمام مالك: هو واحد من دواوين الإسلام العظيمة، وكتبه الجليلة، يشتمل على جملة من الأحاديث المرفوعة، والآثار الموقوفة من كلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ثم هو أيضًا يتضمن جملة من اجتهادات المصنف وفتاواه. ونُقِل عن مالك رحمه الله - تعالى- أنه قال: عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهًا من فقهاء المدينة، فكلهم واطَأَني عليه، فسميته الموطأ.

- سبب تأليفه: ذكر ابن عبدالبرَّ رحمه الله، في كتاب الاستذكار (١٦٨/١) أن أبا جعفر المنصور قال للإمام مالك: «يا مالك ! اصنع للناس كتابًا أحْمِلُهم عليه، فما أحد اليوم أعلم منك !!» فاستجاب الإمام مالك لطلبه، ولكنه رفض أن يُلزِم الناس جميعًا به.

- مدة عمله: مكث الإمام مالك أربعين سنة يقرأ الموطَّأَ على الناس، فيزيد فيه وينقص ويُهذِّب، فكان التلاميذ يسمعونه منه أو يقرؤونه عليه خلال ذلك، فتعددت روايات الموطأ فاشتُهِرت عدة روايات للموطأ، أهمها: رواية يحيى بن يحيى المصمودي الليثي (ت: ٢٣٤هـ): وهي أشهر رواية عن الإمام مالك، وعليها بنى أغلب العلماء شروحاتهم. رواية أبي مصعب الزهري: تمتاز بما فيها من الزيادات، وبأنها آخر رواية نقلت عن مالك، وهي متداولة بين أهل العلم.

عدد أحاديث الموطأ: يختلف باختلاف الروايات، كما يختلف بحسب اختلاف طريقة العدّ، وذلك أن بعض أهل العلم يعد كل أثر من كلام الصحابة أو التابعين حديثًا مستقرًّا، وبعضهم لا يعتبره ضمن العدد، لذلك نكتفي بذكر العدد الذي جاء في بعض الطبعات المحققة للموطأ، وهي: رواية يحيى الليثي ١٩٤٢ حديثًا: (وهي الرواية الأشهر، والمقصودة عند إطلاق الموطأ).

شرطه في كتابه: من أوثق الشروط وأشدها، فقد كان يسلك منهج التحري والتوخي وانتقاء الصحيح. قال الشافعي رحمه الله: ما في الأرض بعد كتاب الله أكثر صوابًا من موطأ مالك بن أنس. وعن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله. وقال سفيان بن عيينة: رحم الله مالكًا، ما كان أشد انتقاده للرجال. لذلك تجد أن أكثر أسانيد مالك الموصولة في الدرجة العليا من الصحيح، ومن أجل هذا استوعب الشيخان البخاري ومسلم أكثر حديثه في كتابيهما.

منهجه في التصنيف: اتبع مالك في موطئه طريقة المؤلفين في عصره، فمزج الحديث بأقوال الصحابة والتابعين والآراء الفقهية، حتى بلغت آثار الصحابة: ٦١٣ أثرًا، و ٢٨٥ قولًا. يقدم في الباب الحديث المرفوع ثم يتبعه بالآثار وأحيانًا يذكر عمل أهل المدينة، فكتابه كتاب فقه وحديث في وقت واحد، وليس كتابَ جمع للروايات فقط، لذلك تجد بعض الأبواب تخلو من المرويات، وإنما يسوق فيها أقوال الفقهاء وعمل أهل المدينة واجتهاداته.

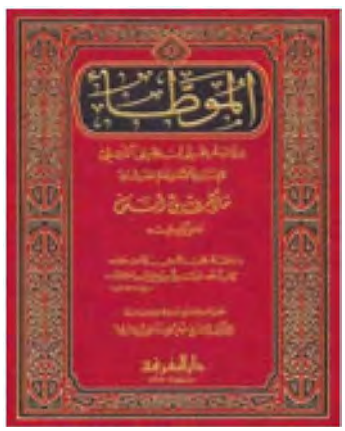

• الإسلام سؤال وجواب، موقع الشيخ صلاح الدين المنجد.

لمزيد من التفصيل شاهد الحلقة الرابعة في Youtube من برنامج (رحلات أعلام المحدثين) عن (الإمام مالك بن أنس) لمؤلف الأطلس ومصممه، عبر هذا التطبيق (QR Code) باستخدام الماسح الضوئي في جهازك الهاتفي(الجوال)، أو عبر الرابط الإلكتروني أدناه:

https://youtu.be/4mUq_o-JOQg

الإمام البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ)

هو أبو عبدالله **محمد بن إسماعيل** بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه (ومعناه بالعربية الزرّاع) الجعفي **البخاري**. أسلم المغيرة على يد اليمان الجعفي والي بخارى، وكان مجوسيًّا. وقد طلب والده العلم. قال البخاري: « سمع أبي من مالك بن أنس، ورأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه»[١].

ولد الإمام البخاري بعد صلاة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٩٤ هـ، مات أبوه وهو صغير، فنشأ في حِجْر أمّه، وكان أبوه قد ترك مالاً أعان أمَّه على تنشئته وتربيته التربية الكريمة، قال أبوه «إسماعيل» عند وفاته: «لا أعلم في مالي درهمًا من حرام ولا شبهة» وقد ذهب بصره في صغره؛ فرأت والدته في المنام: إبراهيم الخَليل عليه السلام فقال لها: «يا هذه قد رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو دعائك»[٢].

قال البخاري: ألهمت حفظ الحديث في المكتب (الكُتَّاب) ولي عشر سنين أو أقل، وخرجت من الكتَّاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخليّ وغيره، فقال يومًا فيما يقرأ على الناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل. فدخل ثم خرج فقال لي: كيف يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأصلحه. وقال: صدقت، قال: «فقال للبخاري بعض أصحابه: ابن كم كنت؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت أصنِّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وذلك أيام عبيدالله بن موسى وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة، وقلَ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب»[٣].

١- أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح)، ص ٤٢، الناشر: دار ابن حزم- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٠ م.

٢- المرجع السابق، ص ٤٣.

٣- السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢ ص٢١٦، طبعة دار هجر.

مكان ميلاد الإمام البخاري ووفاته

ولد الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في بخارى ليلة الجمعة الثالث عشر من شهر شوال سنة ١٩٤ هـ.

توفي الإمام البخاري- رحمه الله -ليلة عيد الفطر السبت ١ شوال ٢٥٦هـ عند صلاة العشاء وصلي عليه يوم العيد بعد الظهر ودفن في خرتنك (سمرقند) وقبره معروف إلى الآن وله ضريح مشهور فيها!! -وقد قفت عليه-، وعمره عند وفاته ٦٢سنة إلا ثلاثة عشر يومًا.

طلب (البخاري) العلم وهو صبي، وكان يشتغل بحفظ الحديث وهو في الكتّاب ولم تتجاوز سنه عشر سنين، وكان يختلف إلى محدثي بلده ويرد على بعضهم خطأه فلما بلغ ستَّ عشر سنة، كان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وعرف فقه أصحاب الرأي، ثم خرج مع أمه وأخيه أحمد إلى مكة، فلما حجّ رجع أخوه بأمه، وتخلف هو في طلب الحديث[١].

قال الخطيب البغدادي: «رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق كلها، وبالحجاز والشام ومصر»[٢].

قال البخاري: «دخلت بغداد آخر ثماني مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل. فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبدالله، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان!» وقال: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، لقيتهم كرات قرنًا بعد قرن ثم قرنًا بعد قرن أدركتهم وهم متوافرون أكثر من ست وأربعين سنة، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وبالبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد»[٣].

صنّف عدد من العلماء كتبًا للعناية بأسماء شيوخ البخاري منها:

- أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه الذين ذكرهم في جامعه الصحيح على حروف المعجم. لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني.
- أسامي مشايخ الإمام البخاري: لمحمد بن إسحاق بن منده.
- أسامي شيوخ البخاري: لرضيّ الدين الحسن بن محمد الصغاني.
- المعلم بأسامي شيوخ البخاري ومسلم: لأبي بكر محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلفون.
- شيوخ البخاري ومسلم: للأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي.
- التعريف بشيوخ حدّث عنهم البخاري: لأبي علي الحسين بن محمد الغساني.

١ -الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٢، ص ٧.

٢ - المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٢٢.

٣- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٢، ص ٥٨. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص٣٩٣.

مسار رحلة الإمام البخاري رحمه الله في طلب العلم	لون السهم	المسافة التقريبية
١ في أرض خراسان الكبرى (التاريخية)		١٥٢٧كم
٢ في أرض إيران		١٧٤١كم
٣ في أرض العراق		٩٢٤كم
٤ في أرض الحجاز		٢١٦٦كم
٥ في أرض مصر		٢٥٧٠كم
٦ في أرض الشام والجزيرة الفراتية		٢٨٥٠كم

قسّم الحافظ ابنُ حجر شيوخ البخاري إلى خمس طبقات:

الطبقة الأولى

مَن حدَّثه عن التابعين، وهم أتباع التابعين، مثل محمد بن عبدالله الأنصاري، ومكي بن إبراهيم، وعُبيدالله بن موسى، وغيرهم.

الطبقة الثانية

مَن كان في عصر هؤلاء لكنَّه لم يسمع من ثقات التابعين، كآدم بن أبي إياس، وسعيد ابن أبي مريم، وأيوب بن سليمان، وأمثالهم.

الطبقة الثالثة

وهي الوسطى من مشايخه، وهم مَنْ لم يَلْقَ التابعين، بل أخذ عن كبار تَبَع الأتباع، كسليمان ابن حرب، وقتيبة بن سعيد، وابن المديني، وابن معين، وابن حنبل، وإسحاق، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأمثالهم، وهذه الطبقة قد شاركه (مسلم) في الأخذ عنهم.

الطبقة الرابعة

رفقاؤه في الطلب، ومَن سمع قبله، كمحمد بن يحيى الذُّهْلي، وعبد بن حُمَيد، وأبي حاتم الرازي، وجماعة من نظرائهم، وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه، أو ما لم يجده عند غيرهم.

الطبقة الخامسة

وهم في عِداد طلبته في السنِّ والإسناد، وقد سمع منهم للفائدة، كعبدالله بن حمّاد الآملي، وعبدالله بن أبي العاص الخوارزمي، وحسين بن محمد القباني، وغيرهم. وقد روى عنهم أشياء يسيرة، وعمل في الرواية عنهم لما قاله (وكيع): «لا يكون الرجل عالمًا حتى يُحدِّث عمّن هو فوقه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونه».

أبرز تلاميذه[•]:

(١) أبو عبدالله الفربري.

(٢) حماد بن شاكر.

(٣) إبراهيم بن معقل.

(٤) طاهر بن محمد بن مخلد النسفيان.

(٥) عبدالله بن منير .

(٦) أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق.

للإمام البخاري مؤلفات كثيرة، أشهرها:

(١) الجامع المُسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بالجامع الصحيح (سيرد مفصلًا).

(٢) الأدب المفرد يرويه عنه أحمد بن محمد بن الجليل البزار. وهو من كتبه القيمة المفيدة.

(٣) رفع اليدين في الصلاة.

(٤) خير الكلام في القراءة خلف الإمام.

(٥) كتاب قضايا الصحابة والتابعين – وهو أول مصنفاته.

(٦) التاريخ الكبير – يرويه عنه أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس، وأبو الحسن محمد بن سهل النسوي وغيرهما.

(٧) التاريخ الأوسط – يرويه عنه عبدالله بن أحمد بن عبدالسلام الخفاف، وزنجويه بن محمد اللباد.

(٨) التاريخ الصغير – يرويه عنه عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الأشقر.

(٩) التفسير الكبير – ذكره الفربري، والنووي في التهذيب، والحافظ في المقدمة، وغيرهم.

(١٠) الجامع الكبير – ذكره ابن طاهر المقدسي كما في كشف الظنون، والظاهر أنه الذي استخرج منه (الجامع الصحيح).

• أحمد مختار رمزي، سير أعلام المحدثين، ص ١٦٨ - ١٧٠.

(الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله ﷺ وسُنَنه وأيامه) المعروف بـ(صحيح البخاري).

ذكر المؤرخون: أن الباعث للبخاري لتصنيف صحيحه: أنه كان يومًا في مجلس عند إسحاق بن راهويه فقال إسحاق: «لو جمعتم كتابًا مختصرًا لصحيح سنة النبي ﷺ» فوقع هذا القول في قلب البخاري فأخذ في جمع الكتاب، ورُوي عن البخاري أنه قال: «رأيت النبيّ ﷺ، كأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذبّ عنه، فسألت بعض المعبرين فقال: إنك تذبّ عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الصحيح». فرجّح بعض العلماء أن طلب إسحاق بن راهويه كان أولاً ثم جاءه المنام فأكّد ذلك عزم البخاري على تصنيف الكتاب[1].

قصد البخاري في صحيحه إلى إبراز فقه الحديث الصحيح واستنباط الفوائد منه، وجعل الفوائد المستنبطة تراجم للكتاب - أي عناوين له - فيذكر متن الحديث بغير سند وقد يحذف من أول الإسناد واحد فأكثر، وهذان النوعان يعرفان بالتعليق، وقد يكرر الحديث في مواضع كثيرة من كتابه يشير في كل منها إلى فائدة تستنبط من الحديث، وذكر في تراجم الأبواب الكثير من الآيات والأحاديث وفتاوى الصحابة والتابعين ، ليبين بها فقه الباب والاستدلال له، حتى اشتهر أن «فقه البخاري في تراجمه»، وروي عن أبي الأزهر قال :«كان بسمرقند أربع مئة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة البخاري فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق وإسناد اليمن في إسناد الحرمين فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن»[2].

عدد الأحاديث في صحيح البخاري، قال ابن الصلاح والنووي: إن عدد أحاديثه (٧٢٧٥) حديثًا، وبدون المكرر أربعة آلاف . وقال ابن حجر: إنه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات (٧٣٩٧) حديثًا، والخالص من ذلك بلا تكرار (٢٦٠٢) حديثًا، وإذا أضيف إلى ذلك المتون المعلقة المرفوعة وهي (١٥٩) حديثًا فمجموع ذلك (٢٧٦١)، وعدد أحاديثه بالمكرر والتعليقات والمتابعات واختلاف الروايات (٩٠٨٢) حديثًا، وهذا غير ما فيه من الموقوف على الصحابة والتابعين. عدد الأحاديث المعلقة (١٣٤١)، وأكثرها مكرر مخرج في الكتاب أصول متونه، وليس فيه من المتون التي لم تخرج في الكتاب ولو من طريق أخرى إلا (١٥٩) حديثًا معلقًا.

١- ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٣ ص٢٥٣، طبعة دار ابن كثير.
٢- فتح المغيث بشرح علوم الحديث، ص، ٥٨. محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ص: ٣٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٤٠٠ - ٤٠٩.

أقبل العلماء على كتاب الجامع الصحيح واعتنوا به عناية فائقة بالشرح والتعليق والدراسة في مصنَّفات كثيرة جدًّا. قال محمد يوسف البنوري: «أضحى كالشمس في كبد السماء، بلغ إلى أقصى القبول والمجد والثناء، فانتهض أعيان الأمة وأعلام العلم في كل عصر من أقدم العصور إلى اليوم لشرحه والتعليق عليه، وتلخيصه، واختصاره أو ترتيبه، وتأليف أطرافه، أو شرح تراجمه، أو ترجمة رجاله، أو بيان غريبه، أو وصل مرسله، وتعليقاته أو مبهمه، وإبراز فوائده، ولطائفه، حديثًا وفقهًا وعربية وبلاغة ووضعًا وترتيبًا وتوزيعًا وتبويبًا حتى في تعديد حروفه وكلماته وما إلى ذلك.»، قال الذهبي: «وأما جامع البخاري الصحيح، فأجل كتب الإسلام، وأفضلها بعد كتاب الله تعالى»[١].

وقال النووي[٢]: «أول مصنّف في الصحيح المجرّد، صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم. وهما أصح الكتب بعد القرآن. والبخاري أصحّهما، وأكثرهما فوائد. وقيل: مسلم أصح، والصواب الأول» ويقول النووي أيضًا: «اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان، البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول».

١- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج١ ص ٢٩.
٢- التقريب للنووي، ص ٣.

منزلته العلمية: اشتهر البخاري في عصره بالحفظ والعلم والذكاء، وقد وقعت له حوادث كثيرة تدل على حفظه، منها امتحانه يوم دخل بغداد وهي قصة مشهورة. وكان - رحمه الله - واسع العلم غزير الاطلاع، قال وراقة بن أبي حاتم: قرأ علينا أبو عبدالله كتاب (الهبة) فقال ليس في (هبة وكيع) إلا حديثان مسندان أو ثلاثة، وفي كتاب ابن المبارك خمسة أو نحوه وفي كتابي هذا خمس مئة حديث أو أكثر. وقال: « لا أعلم شيئًا يحتاج إليه إلا وهو في الكتاب أو السُّنَّة، فقيل له: يمكن معرفة ذلك كله؟ قال: نعم». وقال له بعضهم: قال فلان عنك لا تحسن أن تصلي، فقال: لو قيل شيء من هذا ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة.

ثناء الأئمة عليه: أثنى عليه أئمة الإسلام، وحفاظ الحديث ثناءً عاطرًا واعترفوا بعلمه وفضله وخاصة في الرجال وعلل الحديث، وهذا شيء يسير من ثناء هؤلاء الأئمة عليه. قال الإمام البخاري رحمه الله: ذاكرني أصحاب عمرو ابن علي الفلاس بحديث، فقلت: لا أعرفه فسُروا بذلك، وصاروا إلى عمرو فأخبروه، فقال: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث. وكان إسحاق بن راهويه يقول: اكتبوا عن هذاالشاب -يعني البخاري - فلو كان في زمن الحسن لاحتاج الناس إليه لمعرفته بالحديث وفقهه. وقال الإمام أحمد: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل. وكان علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل (البخاري) إمامنا وفقيهنا وفقيه خراسان.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم.

عبادته وورعه وصلاحه: وكما جمع الإمام البخاري بين الفقه والحديث فقد جمع الله له بين العلم والعبادة. فقد كان كثير التلاوة والصلاة، وخاصة في رمضان، فهو يختم القرآن في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة، وكان أحيانًا يعرض له ما يؤذيه في صلاته فلا يقطعها حتى يتمها، فقد أبَّره زنبور في بيته سبعة عشر موضعًا وقد تورّم من ذلك جسده، فقال له بعض القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها.

محنته وصبره: لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور، قال محمد بن يحيى الذهلي لأهلها: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه. فذهب الناس إليه، وأقبلوا على السماع منه. حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى، فحسده بعد ذلك وتكلم فيه فدسّ بعض من يمتحنه في (مسألة اللفظ بالقرآن) فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال: يا أبا عبدالله ما تقول في اللفظ بالقرآن؟ مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه، فقال الرجل: يا أبا عبدالله فأعاد عليه القول، ثم قال في الثالثة، فالتفت

إليه البخاري، وقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة، فشغّب الرجل وشغّب الناس، وتفرقوا عنه، وقعد البخاري في منزله. قال يحيى بن سعيد القطان: قال (أي: البخاري): أعمال العباد كلها مخلوقة فمرقوا عليه. وقالوا له بعد ذلك ترجع عن هذا القول حتى نعود إليك قال: لا أفعل إلا أن يجيئوا بحجة فيما يقولون أقوى من حجتي. قال يحيى: وأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته . قال الحاكم: حدثنا طاهر بن محمد الوراق، سمعت محمد بن شاذل يقول: لما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري، دخلت على البخاري فقلت يا أبا عبدالله: أيش الحيلة لنا فيما بينك وبين محمد بن يحيى؟ كل من يختلف إليك يطرد.

وفاته: من كرامات الإمام البخاري حقق الله له دعوته، فلما وقعت له محنته قال بعد أن فرغ من ورده: «اللهم إنه قد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك» فما تم شهر حتى مات. وقال رحمه الله: ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة إذا دعا لم يستجب له، فقالت له امرأة أخيه: فهل تبينت ذلك من نفسك أو جربت؟ قال نعم، دعوت ربي مرتين فاستجاب لي، فلم أحب أن أدعو بعد ذلك، فلعله ينقص من حسناتي، أو يعجل لي في الدنيا، ثم قال: ما حاجة المسلم إلى الكذب والبخل لما منع البخاري من العلم خرج إلى (خرتنك) وهي قرية على فرسخين من سمرقند، كان له بها أقرباء فبقي فيها أيامًا قليلة، ثم توفي، وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ستة وخمسين ومئتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يومًا، وكانت حياته كلها حافلة بالعلم معمورة بالعبادة، فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح)، دار ابن حزم بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٠ م.

في الصورة الأولى، أقفُ مع الأستاذين الفاضلين د. فالح ابن محمد الصغير، أستاذ السُّنَّة النبوية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعضو مجلس الشورى سابقًا، وأ. محمد بن خالد الحزاب، الأستاذ في كلية التقنية بالرياض سابقًا في الساحة المؤدية إلى مكان قبر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله (الصورة الثانية) في (خرتنك) بمدينة سمرقند في جمهورية أوزبكستان.

لمزيد من التفصيل شاهد الحلقة السادسة في Youtube من برنامج (رحلات أعلام المحدثين) عن (الإمام البخاري) لمؤلف الأطلس ومصممه، عبر هذا التطبيق (QR Code) باستخدام الماسح الضوئي في جهازك الهاتفي (الجوال)، أو عبر الرابط الإلكتروني أدناه:

https://youtu.be/WvhJzYgeX6w

الإمام مسلم (٢٠٤ - ٢٦١ هـ)

هو الإمام أبو الحسن **مسلم بن الحجاج** بن مسلم القشيري نسبًا **النيسابوري** وطنًا، قال ابن الأثير في اللباب في تهذيب الأنساب: القشيري بضم القاف وفتح الشين وسكون الياء تحتها نقطتان وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة ينسب إليها كثير من العلماء، فذكر جماعة من هؤلاء ومنهم الإمام مسلم، ونسبة الإمام مسلم هذه نسبة أصل بخلاف الإمام البخاري فإن نسبته إلى الجعفيين نسبة ولاء، ولهذا لما ذكر الإمام أبو عمر بن الصلاح في كتابه علوم الحديث أن أول من ألف في الصحيح الإمام البخاري ثم الإمام مسلم قال: «أول من صنف الصحيح البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري من أنفسهم»[١].

ولد الإمام مسلم ٢٠٤ هـ كما في خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي وتهذيب التهذيب وتقريبه للحافظ ابن حجر العسقلاني، وكذا في البداية والنهاية لابن كثير، قال بعد أن ذكر وفاته سنة ٢٦١ هـ: وكان مولده في السنة التي توفي فيها الشافعي وهي سنة ٢٠٤ هـ، فكان عمره ٥٧ سنة -رحمه الله تعالى-، ونقل ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان عن كتاب (علماء الأمصار) لأبي عبدالله النيسابوري الحاكم؛ أن مسلمًا توفي بنيسابور لخمس بقين من شهر رجب الفرد سنة ٢٦١ هـ وهو ابن ٥٥ سنة، ثم قال: فتكون ولادته في سنة ٢٠٦ هـ.

نشأ في أسرة كريمة، وتأدب في بيت علم وفضل، فكان أبوه فيمن يتصدرون حلقات العلم، ولذا عني بتربية ولده وتعليمه كما قال محمد بن عبدالوهاب الفراء: «كان أبوه الحجاج من المشيخة»، فنشأ شغوفًا بالعلم مجدًّا في طلبه محبًّا للحديث النبوي، فسمع في صغره من مشايخ نيسابور، وكان عمره آنذاك اثنتا عشرة سنة[٢].

١- عبدالمحسن بن حمد بن عبدالمحسن بن عبدالله بن حمد العباد البدر، الإمام مسلم وصحيحه، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السَّنة الثالثة - العدد الأول، ص ٣٠ ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢- ترجمة الإمام مسلم، الملتقى الفقهي.

خريطة أقاليم ومحافظات الجمهورية الإيرانية
الشمال
تركمانستان
بحر قزوين
موقع نيسابور
أفغانستان
باكستان
العراق
الخليج العربي
خليج عمان
أذربيجان - غ
أذربيجان - ش
تبريز
أردبيل
أردبيل
مهاباد
زنجان
زنجان
رشت
گيلان
قزوين
قزوين
كردستان
سنندج
همدان
همدان
مركزي
أراك
قم
كرمنشاه
باختروم
لرستان
خرم آباد
ايلام
ايلام
ديزفول
شهر كرد
جهار محل وبختياري
خوزستان
الأحواز
كيكيلويه وبوير أحمد
ياسوج
بوشهر
بوشهر
بندر كنكان
شيراز
فارس
بندر عباس
هرمزگان
كرمان
كرمان
سيرجان
بم
يزد
يزد
بافق
كاشان
أصفهان
أصفهان
سمنان
سمنان
طهران
مازندران
ساري
غلستان
جرجان
شاهرود
بجنورد
خراسان - ش
مشهد
سرخس
نيسابور
خراسان الرضا
بيرجند
خراسان - ج
زاهدان
سستان و بلوشستان
بزمان
إيران
العراق
سوريا
أفغانستان
باكستان
المملكة العربية السعودية
عمان
اليمن
آسيا
أوروبا
أمريكا ش
إفريقيا
أمريكا ج
أستراليا
المحيط الهادي
المحيط الأطلسي
المحيط الهندي
القارة المتجمدة الجنوبية
موقع قارة آسيا

نيسابور: مدينة تقع في مقاطعة خراسان في شمال شرقي إيران بالقرب من العاصمة الإقليمية (مشهد)، فتحت عام ٣١هـ في خلافة عثمان بن عفان، وقيل أيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) جميعًا على يد الأحنف بن قيس. ينتمي إليها رجال من أهل الفقه والعلم والصلاح، منهم الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح في الحديث، والشاعر والرياضي والفيلسوف عمر الخيام، والجوهري النيسابوري صاحب صحاح اللغة، والميداني صاحب مجمع الأمثال.

عاش الإمام مسلم بن الحجاج من كسب يده، فكان يعمل بالتجارة، وكان متجره بخان محمش، وكان يبيع فيه البزّ والأقمشة والثياب، فقال محمد ابن عبدالوهاب الفراء: «وكان رحمه الله بزازًا»، وكانت له أملاك وضياع وثروة، وكان يعيش منها، مكنته من القيام بالرحلات الواسعة إلى الأئمة الأعلام الذين ينتشرون في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي. ولم تكن التجارة عائقًا له عن طلب الحديث النبوي بل كان يحدث الناس في متجره، وذكر ذلك الحاكم النيسابوري فقال: «قال أبي: رأيت مسلم بن الحجاج يحدث بخان محمش»[١].

وصفه الحاكم النيسابوري فقال عنه: «كان تام القامة أبيض الرأس واللحية يرخي طرف عمامته بين كتفيه»، ونقل الحاكم أيضًا عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: «رأيت شيخًا حسن الوجه والثياب، عليه رداء حسن وعمامة قد أرخاها بين كتفيه، فقيل: هذا مسلم. فتقدم أصحاب السلطان فقالوا: قد أمر أمير المؤمنين أن يكون مسلم بن الحجاج إمام المسلمين. فقدّموه في الجامع، فكبّر وصلى بالناس»، وكان كثير الإحسان والكرم حتى سماه الذهبي بـ (محسن نيسابور)، وقال عنه عبدالعزيز الدهلوي في بستان المحدثين: «إنه ما اغتاب أحدًا في حياته ولا ضرب ولا شتم».

بدأ سماع الحديث سنة ثماني عشرة ومئتين كما في تذكرة الحفاظ للذهبي، وقد رحل لطلبه إلى العراق والحجاز والشام ومصر[٢]، وروى عن جماعة كثيرين نذكر هؤلاء العشرة من الذين أكثر من السماع منهم والرواية عنهم في صحيحه، مع بيان عدد ما رواه عن كل منهم كما نقل ذلك الحافظ ابن حجر في تراجمهم في كتابه تهذيب التهذيب:

١- أبو بكر بن أبي شيبة: ١٥٤٠ حديثًا.
٢- أبو خيثمة زهير بن حرب: ١٢٨١ حديثًا.
٣- محمد بن المثنى الملقب الزمن: ٧٧٢ حديثًا.
٤- قتيبة بن سعيد: ٦٦٨ حديثًا.
٥- محمد بن عبدالله بن نمير: ٥٧٣ حديثًا.
٦- أبو كريب محمد بن العلاء بن كريب: ٥٥٦ حديثًا.

١- د. محمد عبدالرحمن الطوالبة، الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه، صـ ١٣: ٢٢، دار عمار، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م.

٢- عبدالمحسن بن حمد بن عبدالمحسن بن عبدالله بن حمد العباد البدر، الإمام مسلم وصحيحه، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الثالثة - العدد الأول، ص ٣١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٧- محمد بن بشار الملقب بندارا: ٤٦٠ حديثًا.
٨- محمد بن رافع النيسابوري: ٣٦٢ حديثًا.
٩- محمد بن حاتم الملقب السمين: ٣٠٠ حديث.
١٠- علي بن حجر السعدي: ١٨٨ حديثًا.

وهـؤلاء العشرة من شيـوخ مسلم روى البخاري فـي صحيحه مباشرة عن تسعة منهم فهم جميعًا من شيوخ الشيخين معًا إلا محمد بن حاتم فلم يرو عنه البخاري في صحيحه لا بواسطة ولا بغيرها، وقد قال الإمام أبو عمرو ابـن الصلاح فـي كتابه علوم الحديـث: ومسلم مع أنه أخـذ عن البخاري واستفاد منه فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه.

وصفـه النووي: إنـه أحـد الرحالين في طلـب الحديث إلى أئمـة الأقطار والبلـدان، فطلب الحديث في بلده نيسابور وخراسـان، فأول سماعه فيها سنـة ٢١٨ هـ من يحيى بن يحيى التميمـي، وإسحاق بن راهويه، وآخرين، وبالـرّي محمد بن مهران الجمال، وأبي غسـان، ومحمد بن عمرو زنيجا، وكانـت أولى رحلاتـه الخارجية في سنة ٢٢٠ هـ وعمـره حينذ أربعة عشر عامًا، حيث ذهب إلى **بلاد الحرمين لأداء الحج**، فسمع بالمدينة النبوية إسماعيـل بن أبي أويس، وسمع بمكـة شيخه القعنبي - وهو أكبر شيوخه - وطبقتـه، وسمع من سعيد بن منصور، وأبي مصعب الزهري، وبعد أن أدى الحج سمع من الشيوخ في البلاد التي مر عليها، وارتحل إلى بلخ، والعراق، ورافقه في هذه الرحلة أحمد بن سلمة النيسابوري، ودخل البصرة، ودخل بغـداد، فسمع فيها أحمد بن حنبـل، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، ويحيى ابـن صاعد، ومحمد بن مخلد، وأكثر عن علي بن الجعد، لكنه ما روى عنه فـي الصحيح شيئًـا، ودخل الكوفة وسمـع من أحمد بن يونـس، وعمر بن حفص بن غياث، ثم عاد إلى بلدته، وبعد عدة سنين بدأ رحلاته مرة أخرى قبـل ٢٣٠ هـ. ثـم ارتحـل إلى بـلاد الشـام ليسمع مـن محمد بـن خالد السكسكـي، وارتحـل إلى مصـر قبل ٢٥٠ هـ، وسمع من عمـرو بن سواد، وحرملة بن يحيى، وآخرين، وارتحل إلى الرّي بعد عام ٢٥٠ هـ عقب تأليفه صحيحـه، فالتقى بأبي زرعة الـرازي فأنكر عليه روايته لأسباط بن نصر، ولم تقتصـر رحلاته على السماع بل كان يذاكر العلماء ويعلم الناس. وآخر قدومه بغداد كان في سنة ٢٥٩ هـ[١].

١- ابـن عساكر، تاريـخ دمشق، ج ٥٨، صـ ٨٨، طبعـة دار الفكـر للطباعـة والنشر، ١٩٩٥م.

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد النيسابوري القشيري، وقشير: هي قبيلة معروفة من قبائل العرب، يُنسب إليها الإمام، هو إمام أهل الحديث في عصره، وأحد الحفّاظ المتقنين الأفذاذ.

سماعه للعلم كان سنة (٢١٨هـ) أي: كان بعد مولده بـ (١٢) عامًا، معنى ذلك: أنه بدأ طلب العلم مبكرًا، وهدي سلفنا في بداية طلبهم للعلم أنهم كانوا يقبلون على القرآن الكريم أولاً فيحفظونه ويتقنونه إتقانًا جيدًا كما قال عبدالله بن مسعود: الحفظ الإتقان.

فلما فرغ من هذه المهمة التي هي بمثابة الخطوة والعتبة الأولى في طلب العلم دُفع به بعد ذلك إلى مجالس المحدِّثين، وكان ذلك في مقتبل عمره سنة (٢١٨هـ)، فسمع من يحيى بن يحيى التميمي، وهو أكبر شيخ له، روى عنه نسخته عن مالك ابن أنس الأصبحي إمام أهل المدينة.

يُعد الإمام البخاري من شيوخ مسلم البارزين الذين لهم أثرٌ كبير في إفادته وتمكنه في معرفة الحديث النبوي والتثبت في نقل الصحيح. قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في ترجمة الإمام مسلم في كتابه تاريخ بغداد، قلت: «إنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه وحذا حذوه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم وداوم الاختلاف إليه»، وقال الحافظ ابن حجر في شرحه لنخبة الفكر في معرض ترجيح صحيح البخاري على صحيح مسلم: «هذا على اتفاق العلماء على أن البخاري كان أجل من مسلم وأعرف بصناعة الحديث منه، وإن مسلمًا تلميذه وخريجه، ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره حتى قال الدارقطني: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء». ا. هـ.

ومع كون الإمام مسلم تتلمذ على الإمام البخاري ولازمه واستفاد منه لم يرو عنه في صحيحه شيئًا، ويبدو- والله تعالى- أعلم أن مسلمًا رحمه الله فعل ذلك لأمرين[1]:

الأول: الرغبة في علو الإسناد؛ وذلك أن مسلمًا شارك البخاري في كثير من شيوخه، فلو روى عنه ما رواه عنهم لطال السند بزيادة راو لكنّه رغبة منه في علوِّ الإسناد وقربه من رسول الله ﷺ روى مباشرة عن هؤلاء الشيوخ تلك الأحاديث التي رواها البخاري عنهم.

الثاني: أن الإمام مسلمًا رحمه الله ساءه ما حصل من بعض العلماء من مزج الأحاديث الضعيفة بالأحاديث الصحيحة وعدم التمييز بينهما، فوجه عنايته في تجريد الصحيح من غيره كما أوضح ذلك في مقدمة صحيحه، وإذًا فما كان عند البخاري من الأحاديث قد كفاه مؤونته، لأنّه قد عنى بجمع الحديث الصحيح مع شدة الاحتياط وزيادة التثبت.

تلاميذ كثيرون تتلمذوا على أيدي الإمام مسلم و سمعوا منه، كما في تهذيب التهذيب منهم: أبو الفضل أحمد بن سلمة وإبراهيم بن أبي طالب وأبو عمرو الخفاف وحسين بن محمد القباني وأبو عمرو المستملي وصالح بن محمد الحافظ وعلي بن الحسن الهلالي ومحمد بن عبدالوهاب الفراء - وهما من شيوخه - وعلي بن الحسين بن الجنيد وابن خزيمة وابن صاعد ومحمد بن عبد بن حميد وغيرهم[2].

١، ٢- عبدالمحسن بن حمد العباد البدر، الإمام مسلم وصحيحه، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الثالثة - العدد الأول، ص ٣٢، وما بعدها (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

أبرز شيوخه

سمِع الإمام مسلم من شيوخ كثر، فشيوخه الذين روى لهم في صحيح مسلم وعدتهم مئتان وعشرون رجلًا، منهم:

إبراهيم بن خالد اليشكري

إبراهيم بن دينار التمار

إبراهيم بن زياد سبلان

إبراهيم بن سعيد الجوهري

إبراهيم بن عرعرة

إبراهيم بن موسى

أحمد بن إبراهيم

أحمد بن جعفر

أحمد بن جناب،

وآخرون.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة الإمام مسلم بن الحجاج، جـ١٢، صـ٥٥٨: ٥٦٢، طبعة مؤسسة الرسالة، سنة ٢٠٠١م.

شرط مسلم

نقل النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم عن ابن الصلاح أنه قال: «شرط مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه أن يكون الحديث متصل الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه سالمًا من الشذوذ والعلة».

لمزيد من التفصيل شاهد الحلقة السابعة في Youtube من برنامج (رحلات أعلام المحدثين) عن (الإمام مسلم النيسابوري) لمؤلف الأطلس ومصممه، عبر هذا التطبيق (QR Code) باستخدام الماسح الضوئي في جهازك الهاتفي(الجوال)، أو عبر الرابط الإلكتروني أدناه:

وفاته

قال الذهبي – رحمه الله تعالى – :عُقِدَ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج مجلس للمذاكرة، فذُكِرَ له حديثٌ لم يعرفه، فانصرف إلى منزله وأوقد السراج، وقال لمن في الدار: لا يدخل أحد منكم هذا البيت، فقيل له: أهديت لنا سلة فيها تمر. فقال: قدموها إلي فقدموها إليه، فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فيمضغها فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث. وقال الحاكم: زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مات.

المسند الصحيح المختصر من السُّنن، بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، المعروف بـ: (صحيح مسلم).

لقد حفظ الله -تعالى- السُّنَّةَ برجال جمعوا أحاديث النبي ﷺ، وقاموا بتنقيتها وصيانتها من الكذب والوضع، ومنهم الإمام مسلم رحمه الله صاحب الصحيح الذي تلقته الأمة بالقبول، كما تلقت صحيح البخاري، وقد نهج الإمام مسلم في تصنيف صحيحه نهجًا مميزًا، حيث قسَّم فيه الحديث إلى ثلاثة أقسام، ثم قسَّم رجاله إلى ثلاث طبقات، وبعد أن أتم جمع صحيحه عرضه على شيخه الحافظ الإمام أبي زرعة الرازي رحمهم الله جميعًا.

نص الإمام مسلم في مقدمة الصحيح على أن سبب تأليفه له هو تلبية طلب وإجابة سؤال، فذكر ذلك في خطبة كتابه حيث قال: «فإنك يرحمك الله بتوفيق خالقك ذكرت أنك هممت بالفحص عن تعرف جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله ﷺ في سُنَن الدين وأحكامه، وما كان منها في الثواب، والعقاب، والترغيب، والترهيب وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي بها نقلت وتداولها أهل العلم فيما بينهم، فأردت -أرشدك الله- أن توقف على جملتها مؤلفة محصاة، وسألتني أن ألخصها لك في التأليف بلا تكرار يكثر، فإن ذلك -زعمت مما يشغلك عما له قصدت من التفهم فيها والاستنباط منها، وللذي سألت -أكرمك الله- حين رجعت إلى تدبره وما تؤول به الحال -إن شاء الله- عاقبة محمودة ومنفعة موجودة، وظننت حين سألتني تجشم ذلك أن لو عزم لي عليه وقضي لي تمامه كان أول من يصيبه نفع ذلك إياي خاصة قبل غيري من الناس لأسباب كثيرة يطول بذكرها الوصف، إلا أن جملة ذلك أن ضبط القليل من هذا الشأن وإتقانه أيسر على المرء من معالجة الكثير منه، ولا سيما عند من لا تمييز عنده من العوام إلا بأن يوقفه على التمييز غيره، فإذا كان الأمر في هذا كما وصفنا فالقصد منه إلى الصحيح القليل أولى بهم من ازدياد السقيم».

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الإمام مسلم في تهذيب التهذيب: «حصل لمسلم في كتابه حظٌّ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله، بحيث إن بعضَ الناس كان يفضله على صحيح محمد بن إسماعيل؛ وذلك لِمَا اختص من

جمع الطرق وجَودة السياق والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي من غير تقطيع ولا رواية بمعنى، وقد نسج على منواله خلق من النيسابوريّين فلم يبلغوا شأوه، وحفظتُ منهم أكثرَ من عشرين إمامًا ممن صنَّف المستخرج على مسلم، فسبحان المعطي الوهاب!»[١].

اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في عدد أحاديث الكتاب، وذلك لاختلافهم في عدّ الأصول دون المكررات، واختلافهم في عدّ المكررات بالمتابعات والشواهد، قال أبو قريش الحافظ لأبي زرعة الرازي -عن الإمام مسلم-: «هذا جمع أربعة آلاف حديث في الصحيح». ومن المعاصرين فقد عدّ أحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي في النسخة التي اعتنى بها وقال: بلغت عدة الأحاديث الأصلية في صحيح مسلم ٣٠٣٣ حديثًا وهذا من دون المكرر. وقد جمع الشيخ مشهور حسن آل سلمان عدد الأحاديث بالمكرر من خلال عدّ محمد فؤاد عبدالباقي فبلغت ٥٧٧٠ حديثًا[٢].

١- عبدالمحسن بن حمد العباد البدر، الإمام مسلم وصحيحه، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الثالثة - العدد الأول، ص ٤٠ (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

٢- عثمان بن عبدالرحمن أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح: صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، ت: موفق عبدالله عبدالقادر، (طبعة دار الغرب الإسلامي، ج١ ص١٠١).

الإمام ابن خُزيمة (٢٢٣ - ٣١١ هـ)

هو أبو بكر **محمد بن إسحاق بن خزيمة** النيسابوري مولى مجشر بن مزاحم، ولد في شهر صفر سنة ثلاث وعشرين ومئتين بنيسابور.

كان ابن خزيمة تقيًّا زاهدًا عابدًا، وثمرة العلم تظهر عند التطبيق، فالعلم وسيلة لا غاية، والغاية من العلم هي التطبيق، وكان كثير من طلبة العلم لا يأخذون عن أحد العلم حتى ينظروا في صلاته وفي ذكره وفي تعبده، وينظروا في تقواه وفي ورعه، فكان هذا الإمام ممن تعلم ليعمل، فإضافة إلى ما تقدم كان ورِعًا قوامًا صوامًا كريمًا سخيًّا شجاعًا رضي الله عنه وأرضاه، ورضي عن السلف أجمعين الذين حملوا لنا هذا العلم العظيم[١].

اتسم ابن خزيمة -رحمه الله- بالكرم النادر، حيث كان يتصدق حتى بملابسه، ويبدو أنه لم يكن يلبس القميص الواحد مرتين. قال محمد بن الفضل: كان جدي أبو بكر لا يدخر شيئًا جهده، بل ينفقه على أهل العلم، ولا يعرف صنجة الوزن ولا يميز بين العشرة والعشرين «ربما أخذنا منه العشرة فيتوهم أنها خمسة». وقال الحاكم: إن ابن خزيمة عمل دعوة عظيمة ببستان جمع فيها الفقراء والأغنياء، ونقل كل ما في البلد من الأكل والشواء والحلوى، وكان يومًا مشهودًا بكثرة الخلائق، ولا يتهيأ مثله إلا لسلطان كبير، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة تسع وثلاث مئة.

كان ابن خزيمة سلفي العقيدة على طريقة أهل الحديث، يقول بما قاله الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعون وتابعوهم، ومما يبين هذا قوله في هذا الكتاب: فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا: أنا نثبت لله جل وعلا ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا ونطبق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدمًا كما قاله المبطلون[٢].

١- د. محمد مصطفى الأعظمي، صحيح ابن خزيمة، ج١، المقدمة، ص ١٠.

٢- الغفيلي، عبدالله بن سليمان، الفوزان، ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف، تقديم: صالح بن فوزان، حماد الأنصاري، هامش ص ٢٠٧. دار المسير.

اعتل الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ليلة الأربعاء ومات ليلة السبت بعد العشاء الآخرة في الخامس من ذي القعدة سنة (٣١١ هـ) وله ثمان وثمانون سنة، ودُفن في داره ثم جُعلت مقبرة. قال أبو سعيد عمرو بن محمد ختن ابن خزيمة: «حضرت وفاة الإمام أبي بكر وكان يحرك إصبعه بالشهادة عند آخر رمق».

رحلاته العلمية(*)

وعلى سُنَّة الزمان أراد أن يرتحل لسماع الحديث النبوي، وكان يرغب في الذهاب إلى قتيبة، فاستأذن أباه، فأجابه: «اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك».

يقول ابن خزيمة: «فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة، ففعلت، فلما عيدنا أذن لي، فخرجت إلى مرو وسمعت بمرو الروذ من محمد بن هشام -يعني صاحب هشيم- فنعى إلينا قتيبة».

وكانت وفاة قتيبة في سنة أربعين ومائتين.

فعلى هذا بدأ ابن خزيمة رحلاته العلمية وهو في السابعة عشرة من عمره، وقد اتسعت رحلاته حتى شملت الشرق الإسلامي حينذاك، فسمع:

بنيسابور ... ابن راهويه وغيره.

وبمرو ... علي بن محمد وغيره.

وبالري ... محمد بن مهران وغيره.

وبالشام ... موسى بن سهل الرملي وغيره.

وبالجزيرة ... عبدالجبار بن العلاء وغيره.

وبمصر ... يونس بن عبدالأعلى وغيره.

وبواسط ... محمد بن حرب وغيره.

وببغداد ... محمد بن إسحاق الصاغاني وغيره.

وبالبصرة ... نصر بن علي الأزدي الجهضمي وغيره.

وبالكوفة ... أبا كريب محمد بن العلاء الهمداني وغيره .، وكان كبقية علماء عصره يستفيد من حجه إلى **الديار المقدسة** بلقاء العلماء في موسم الحج.

كما سمع من البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري والذهلي وخلق.

روى عنه جماعة من مشايخه منهم البخاري ومسلم خارج الصحيحين. ومحمد ابن عبدالله بن عبدالحكم شيخه، ويحيى بن محمد بن صاعد، وأبو علي النيسابوري وخلائق ، وآخر من روى عنه بنيسابور حفيده أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة.

(*) - د. محمد مصطفى الأعظمي، صحيح ابن خزيمة، ج١، ص ١٣.

رحلة الإمام ابن خزيمة إلى إقليم خراسان الكبرى	١
رحلة الإمام ابن خزيمة إلى إقليم طبرستان	٢
رحلة الإمام ابن خزيمة إلى بلاد الشام وأرض الجزيرة الفراتية	٣
رحلة الإمام ابن خزيمة إلى أرض العراق	٤
رحلة الإمام ابن خزيمة إلى أرض مصر	٥
رحلة الإمام ابن خزيمة إلى الحرمين الشريفين	٦

كان ابن خزيمة من قرناء البخاري ومسلم، وأعظم الشيوخ الذين سمع منهم: محمد بن يحيى الذهلي شيخ البخاري، وأيضًا إسحاق بن راهويه؛ أما مكانته العلمية فكانت مرموقة جدًّا بين أهل العلم، وكفاه فخرًا أن لقب بإمام الأئمة. كان يجمع بين علم الحديث والفقه، وفي واقع العلماء: من طلب الحديث دون الفقه زل في المسائل الفقهية وضعف، ومن طلب الفقه دون الحديث احتج بالضعيف ولم يستطع أن يتقوى، ولا بد من الجمع بين الحديث والفقه، فهؤلاء هم أفاضل الناس، هؤلاء الشموس وهم العلماء بحق، الذين يحتذى حذوهم، قال الإمام أحمد: كنا نسمي أهل الحديث صيادلة، وكنا نسمي أهل الفقه أطباء، فخرج علينا الشافعي، فكان طبيبًا صيدلانيًّا جمع بين الفقه وبين الحديث[١].

شيوخه:

١ – هشام بن محمد، وعلي بن محمد.

٢ – إسحاق بن راهويه.

٣ – محمد بن مهران.

٤ – موسى بن سهل الرملي.

٥ – عبدالجبار بن عبدالعلاء.

٦ – يونس بن عبد الأعلى.

٧ – محمد بن حرب.

٨ – محمد بن إسحاق الصاغاني.

٩ – نصر بن علي الأزدي الجهضمي.

١٠ – أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني.

١١ – محمد بن عبدالأعلى الصنعاني.

١٢ – إسماعيل بن بشر بن منصور السليمي.

١٣ – كما سمع من البخاري، ومسلم بن الحجاج، والذهلي وغيرهم كثير.

تلاميذه: – كتب عنه أبو بكر الإسماعيلي بجرجان ودهستان، حدث عنه شيخاه البخاري ومسلم في غير الصحيحين، – أبو حاتم البستي (ابن حبان) – أبو أحمد بن عدي – أبو بكر أحمد بن إسحاق الصبغي، – أبو أحمد الحاكم، وآخرون.

١ – محمد حسن عبدالغفار، شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ص٦.

ثناء العلماء عليه: قال تلميذه ابن حبان: «كان -رحمه الله- أحد أئمة الدنيا علمًا وفقهًا وحفظًا وجمعًا واستنباطًا، حتى تكلم في السُّنَن بإسناد لا نعلم سبق إليها غيره من أئمتنا، مع الإتقان الوافر والدين الشديد إلى أن توفي رحمه الله». وقال: «ما رأيتُ على وجه الأرض من يحفظ صناعة السُّنَن، ويحفظ ألفاظها الصحاح، وزياداتها، حتى كأنَّ السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط». قال الدارقطني: «كان ابن خزيمة إمامًا ثبتًا معدوم النظير». قال أبو سعد السمعاني: «اتفق أهل عصره على تقدمه في العلم...وكان أدرك أصحاب الشافعي وتفقه عليهم». قال أبو العباس ابن سريج عنه: «يُخْرِج النُّكت من حديث رسول الله ﷺ بالمِنقَاش». قال أبو الحسن بن حمدويه السِّنجاني: «نظرتُ في مسألة الحج لمحمد بن إسحاق بن خزيمة فتَيَقَّنتُ أنه علم لا نُحسِنه نحن». قال أبو عبدالله الحاكم: «فضائل هذا الإمام مجموعة عندي في أوراق كثيرة، وهي أكثر وأشهر من أن يحتملها هذا الموضع». قال محمد بن سهل الطوسي: «سمعت الربيع بن سليمان وقال لنا: هل تعرفون ابن خزيمة؟ قلنا: نعم. قال: استفدنا منه أكثر مما استفاد منا». قال الحافظ أبو علي النيسابوري: « كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة». وقال: «لم أر أحدًا مثل ابن خزيمة»، قال الذهبي مُعلقًا: يقول مثل هذا وقد رأى النسائي. حَكى أبو بشر القطان قال: رأى جار لابن خزيمة -من أهل العلم- (في المنام) كأن لوحًا عليه صورة نبيِّنا ﷺ وابن خُزيمة يصقُلُه. فقال المُعبر: هذا رجل يُحيي سُنَّة رسول الله ﷺ، وقال أبو إسحاق إبراهيم بن المضارب: «رأيتُ ابن خزيمة في النوم، فقلت: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، فقال: كذا قال لي جبريل في السماء». وسُئل عبدالرحمن بن أبي حاتم عن ابن خُزيمة فقال: «ويْحَكُم! هو يسأل عنا ولا نسأل عنه ! هو إمام يُقتدى به». قال الذهبي عنه: «عني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يُضرب به المَثل في سعة العلم والإتقان». وقال: «لابن خُزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه، واتباعه السُّنَّة». قال أبو الفضل صالح الهمذاني في كتاب (سُنَن التحديث): وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خُزيمة فتح أقفال متون الأخبار، وميَّز الأسناد وناقليها، وأوردَ في مصنفاته في المعرفة بالحديث والطُّرق وتمييز فقه المتون واختلاف العلماء وشرائط التحديث ما لم يُرزق غيره. وكان إمام زمانه، وورد الخبرُ عن المصطفى ﷺ أنه قال: «إن شاء الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة مَن يُجدد لها دينها» رواه أبو داود (٤/١٧٨ رقم٤٢٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٥٥). ثم ذكره بإسناده، وقال: سمعتُ المشايخ في القديم يقولون: «إن رأس المئة السنة في التاريخ من الهجرة قام عمر بن عبدالعزيز، ورأس المئتين محمد بن إدريس الشافعي، ورأس الثلاث مئة محمد بن إسحاق بن خزيمة». قال ابن خزيمة: «كنت إذا أردت أن أصنِّف الشيء أدخل في الصلاة مستخيرًا حتى يفتح لي، ثم أبتدئ التصنيف».

المُسند الصحيح المعروف بـ: (صحيح ابن خزيمة)[•]

١ - هذا الكتاب -على الأغلب- مختصر من (مُسند ابن خزيمة الكبير).

٢ - إن (المُسند الكبير)، لم يكن قد تم تأليفه، بل كان يضيف إليه الأشياء حسبما يتراءى له، وربما أضاف أشياء إلى المختصر لم يضفها إلى المُسند الكبير.

قال أحمد شاكر: «(صحيح ابن خزيمة) و (المُسند الصحيح على التقاسيم والأنواع)، لابن حبان، و (المستدرك على الصحيحين) للحاكم: هذه الكتب الثلاثة هي أهم الكتب التي ألفت في الصحيح المجرد بعد (الصحيحين) للبخاري ومسلم». وأضاف إليه قائلاً: «وقد رتب علماء هذا الفن ونقاده، هذه الكتب الثلاثة التي التزم مؤلفوها رواية الصحيح من الحديث وحده، أعني الصحيح المجرد بعد (الصحيحين): البخاري ومسلم، على الترتيب الآتي:

(صحيح ابن خزيمة).

(صحيح ابن حبان).

(المستدرك للحاكم)، ترجيحًا منهم لكل كتاب منها على ما بعده في التزام الصحيح المجرد، وإن وافق هذا مصادفة ترتيبهم الزمني، عن غير قصد إليه.

قال الذهبي: «وقد كان هذا الإمام جهبذًا، بصيرًا بالرجال، فقال فيما رواه عنه أبو بكر محمد بن جعفر شيخ الحاكم: لست أحتج بشهر بن حوشب ولا بحريز بن عثمان لمذهبه ولا بعبدالله بن عمر ولا ببقية ولا بمقاتل بن حبان ولا بأشعث بن سوار ولا بعلي بن جدعان لسوء حفظه ولا بعاصم بن عبيدالله ولا بابن عقيل ولا بيزيد بن أبي زياد ولا مجالد ولا حجاج بن أرطأة ثم سمى خلقًا، دون هؤلاء في العدالة، فإن المذكورين احتج بهم غير واحد».

إن (صحيح ابن خزيمة) ليس كـ (الصحيحين)، بحيث يمكن القول إن كل ما فيه هو صحيح، بل فيه ما هو دون درجة الصحيح. وليس مشتملاً على الأحاديث الصحيحة والحسنة فحسب، بل يشتمل على أحاديث ضعيفة أيضًا إلا أن نسبتها ضئيلة جدًّا، إذا قورنت بالأحاديث الصحيحة والحسنة، وتكاد لا توجد الأحاديث الواهية أو التي فيها ضعف شديد إلا نادرًا كما يتبين بمراجعة التعليقات.

• - د. محمد مصطفى الأعظمي، صحيح ابن خزيمة، ج١، ص ١٣.

محنة ابن خزيمة[*]

حـدث ذات مـرة أن تكلم أبـو علي الثقفي عـن مسألة كلام الله بعـد أن ثار خلاف بشأنهـا فـي إحدى حِلـق العلـم، وكان ابن خزيمة ينهـى أصحابه عن هـذه المسألة تحديـدًا، وعن الخوض في الكلام عمومًا، فانتهز منصور الطوسي الفرصة، وأسرع إلى الشيـخ ابن خزيمة، وقال له: ألم أقل للشيخ: إن هؤلاء يعتقدون مذهب الكلابية؟ فجمـع ابن خزيمة أصحابه، وقال لهم: ألم أنهكم غير مرة عن الخوض في الكلام؟ ولم يزدهم على هذا ذلك اليوم.

لم يزل الطوسي يروح ويجول بفريته على مسامع الشيخ ابن خزيمة، حتى جرّأه على أصحابه، واستحكمت الوحشة بين الشيخ وتلاميذه، وزادت الأمور سوءًا بتدخل بعض الأطـراف الخارجية، حتى وصل الحـال بابن خزيمة - وكان قد جـاوز الثمانين من العمـر، وضجر وضـاق صدره - وصل به الحال أن أعلن في محضر من طلاب العلم بأن أصحابه الأربعة كذبة، وأنه محرم على كل طالب علم أن يقبل منهم شيئًا يروونه عـن ابن خزيمة، وما هم بكذبة، بل أئمة أثبات، ولكنه فعل الطوسي المنحرف، الذي سعى بالنميمة والأكاذيب، حتى انحرف الشيخ عن أقرب وأخص أصحابه.

اغتنـم الطوسي وأبو عبدالرحمـن القدري الفتنة في نشـر مذهبهما في الاعتزال، ووجدوا من بعض الحسدة: مثل البردعي وأبو بكر بن علي من يساعدهما على تأجيج الفتنة، فانتصب الحافظ أبو عمرو الحيري للصلح بين الجماعة، وشرح لابن خزيمة غرضـ المعتزلـة في فساد الحال، حتـى استطاع أن يجمع بين الشيـخ وأصحابه في مجلس، وأصلح بينهما، وكتب الأصحاب عقيدتهم في محضر ووقع ابن خزيمة عليه بالصحة والسلامة، وأودع المحضر عند الحافظ الحيري حتى لا يبقى لمتقول كلام.

لم يكد ينقضي يوم واحد على الصلح، وكتابة المحضر حتى أسرع الطوسي ومن على شاكلته من المعتزلة إلى الشيخ ابن خزيمة، وقالوا له: إنهم قد غدروا بك، وغيروا من كلام المحضـر ليوافـق عقيدتهم عقيدة ابن كلاب؛ فغضب ابـن خزيمة بشدة، وكما قلنا إنه كان شيخًا كبيرًا جاوز الثمانين، فأرسل إلى أبي عمرو الحيري يطلب المحضر للتأكد من صحة الخبر، فرفض الحيري، فقوى ظن ابن خزيمة بأنهم قد غدروا به، وغـيروا كلامه في المحضر، فظـل ساخطًا مقاطعًا لأصحابـه وتلاميذه الأئمة حتى مات بعد ذلك بقليل.

وهكذا نرى كيف أن أصحـاب العقائـد الباطلة، والمذاهب الفاسدة كانـوا، وما زالوا يلعبـون دورًا خطـيرًا فـي فسـاد ذات البين، وفي محن العلماء الربانيين، وأية محنـة أشـد علـى العالم مـن أن يقاطع تلاميـذه، ويعـادي أخص أصحابـه، الذيـن كانـوا مصدر فخره، وأحـد أسبـاب شهرته، والله أعلم بالعاقبة.

* - شريف عبدالعزيز الزهيري، الإمـام أبو بكر محمـد بن إسحاق ابن خزيمة، موقع الألوكة.

الإمام ابن حبان (٢٧٠ - ٣٥٤ هـ)

هـو الإمـام أبو حاتم **محمد بن حبان** بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، الدارمي، **البُستي**.

ولِـد في مدينـة بُست من أعمـال سجستان (القسم الأفغـاني) سنة ٢٧٣هـ، وقيل ٢٧٠ هـ.

أخـذ في طلب الحديـث منذ بواكير حياته، وخرج علـى عادة طلاب الحديث لرحلـة علمية كبـيرة وواسعة لسماع الحديـث من شيوخه وأعلامـه في شتى أرجاء العالم الإسلامي آنذاك.

مناقبه[١]:

١ – قال أبو سعيد الإدريسي: كان على قضاء سمرقند زمانًا، وكان من فقهاء الدين، وحفّاظ الآثار، عالمًا بالطب، وبالنجوم، وفنون العلم.

٢ – وقـال الحاكـم – تلميـذه –: كان ابن حبـان من أوعية العلـم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال.

٣ – وقال أبو بكر الخطيب: كان ابن حبان ثقة، نبيلًا، فهمًا.

٤ – وقال ابن كثير: أحد الحفّاظ الكبار المصنفين المجتهدين.

٥ – وقال ابن الأثير: إمام عصره، له تصانيف كثيرة لم يسبق إليها.

كان الإمـام ابن حبان يَعيب على المحدِّثـين الذين يهتمُّون بالإسناد فقط، دون الاهتمام بالمتون، كما كان يعيب على الفقهاء الذين يهتمُّون بالمتون فقط، دون الاهتمـام بطـرق الأحاديـث. وقـد أشـارَ إلى هـذا الموضـوع فـي مقدمـة (صحيحه)، وكادَ ينفرد بمذهب خاص فيما يتعلّق بزيادة الثقة، حيث اشترطَ في المحدِّث الثقة الذي تُقبَل منه الزيادة في المتن أن يكون فقيهًا[٢].

قـدِم ابن حبـان نيسابور سنة ٣٣٤ هـ، فسار إلى قضاء (نسـا) ثم انصرف إلى(نيسابـور) في سنة ٣٣٧ هـ، فأقـام بها، وبنى الخانقاه، وقرئ عليه جملة من مصنفاته، ثـم خرج منها إلى وطنه سجستان عام ٣٤٠ هـ، وكانت الرحلة إليه لسماع كتبه[٣].

١ – الذهبي، سير أعلام النبلاء (ترجمة ابن حبان)، ج ١٦، ص ٩٣.

٢ – د. محمـد محمـدي النورستـاني، باحـث بـوزارة الأوقـاف الكويتية،معاقل العلم والعلمـاء: «بُسْت» مدينة العظماء، مجلة الوعي الإسلامـي، عدد ٥٦٥، سنة ٢٠١٢م.

٣ – الذهبـي، المصدر السابق، ج ١٦، ص ٩٤.

سجستان (سستان): إقليم يقع في شرقي إيران، جنوبي خراسان وشمالي بلوجستان، وينقسم إداريًا في الوقت الحاضر بين إيران وأفغانستان، وجزء من باكستان.

قال ياقوت عن **مسقط** رأس الإمام ابن حبان البستي:

بُسْت: بالضم: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة، وأظنّها من أعمال كابل، فإن قياس ما نجده من أخبارها في الأخبار والفتوح كذا يقتضي، وهي من البلاد الحارة المزاج، وهي كبيرة، ويقال لناحيتها اليوم: كرم سير، معناه النواحي الحارة المزاج، وهي كثيرة الأنهار والبساتين إلّا أن الخراب فيها ظاهر، وسئل عنها بعض الفضلاء فقال: هي كتثنيتها يعني بستان، وقد خرج منها جماعة من أعيان الفضلاء، منهم: الخطابي أبو سليمان أحمد بن محمد البستي صاحب معالم السنن وغريب الحديث وغير ذلك، وكان من الأئمة الأعيان. معجم البلدان، ج ١، ص ٤١٤- ٤١٥.

رحلات ابن حبان في طلب العلم

ومما اشتُهِرَ فيه الإمام ابن حبان هو الرحلة في طلب الحديث النبوي، حيث إنه قد استغرق قرابة أربعين عامًا في رحلاته إلى أن رجع إلى وطنه **بُست** أخيرًا. وقد أشارَ الإمامُ ابنُ حبان إلى كثرة رحلاته قائلًا: «ولعلّنا قد كتبنا عن أكثر من ألفَي شيخ من إسبيجاب إلى الإسكندرية»، و(إسبيجاب) إقليمٌ يقعُ أقصى الشرق الإسلامي في ذلك الوقت، وكانت ثغرًا من أشهر ثغور الإسلام على حدود القبائل التركية التي لم تدخل بعد في الإسلام، قال المقدسي(ت: ٣٨٠هـ): «ويُقال: إنَّ بها ألفًا وسبع مئة رباط، وهي ثغر جليل ودار جهاد»، وكانت هذه الأربطةُ للمجاهدين المتطوِّعين، تَشترك في بنائها مدُن ما وراء النهر قاطبة. كما أن الإسكندرية من أشهر مدن مصر، والتي كانت آخر مدينة يُرحَل إليها من جهة المغرب الإسلامي، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في مقدمة تحقيقه لصحيح ابن حبان: «يريد من قوله هذا أن يبيّن لنا أنه رحل إلى أقصى ما تمكن الرحلة إليه لطلب العلم في عصره... ولا يسعُنا إزاء هذا العدد الضخم من الشيوخ في تلك الرقعة الواسعة من الأرض إلا أن نُرَدد مع الذهبي قولَه: هكذا فلتكن الهِمَم». فرحلات الإمام ابن حبان شملَت أقصى الشرق وأقصى الغرب في البلاد الإسلامية التي كان يُرحَل إليها في ذلك الوقت(انظر الخريطة).

أحد المساجد التاريخية في بُست (لبشكركاه الأفغانية).

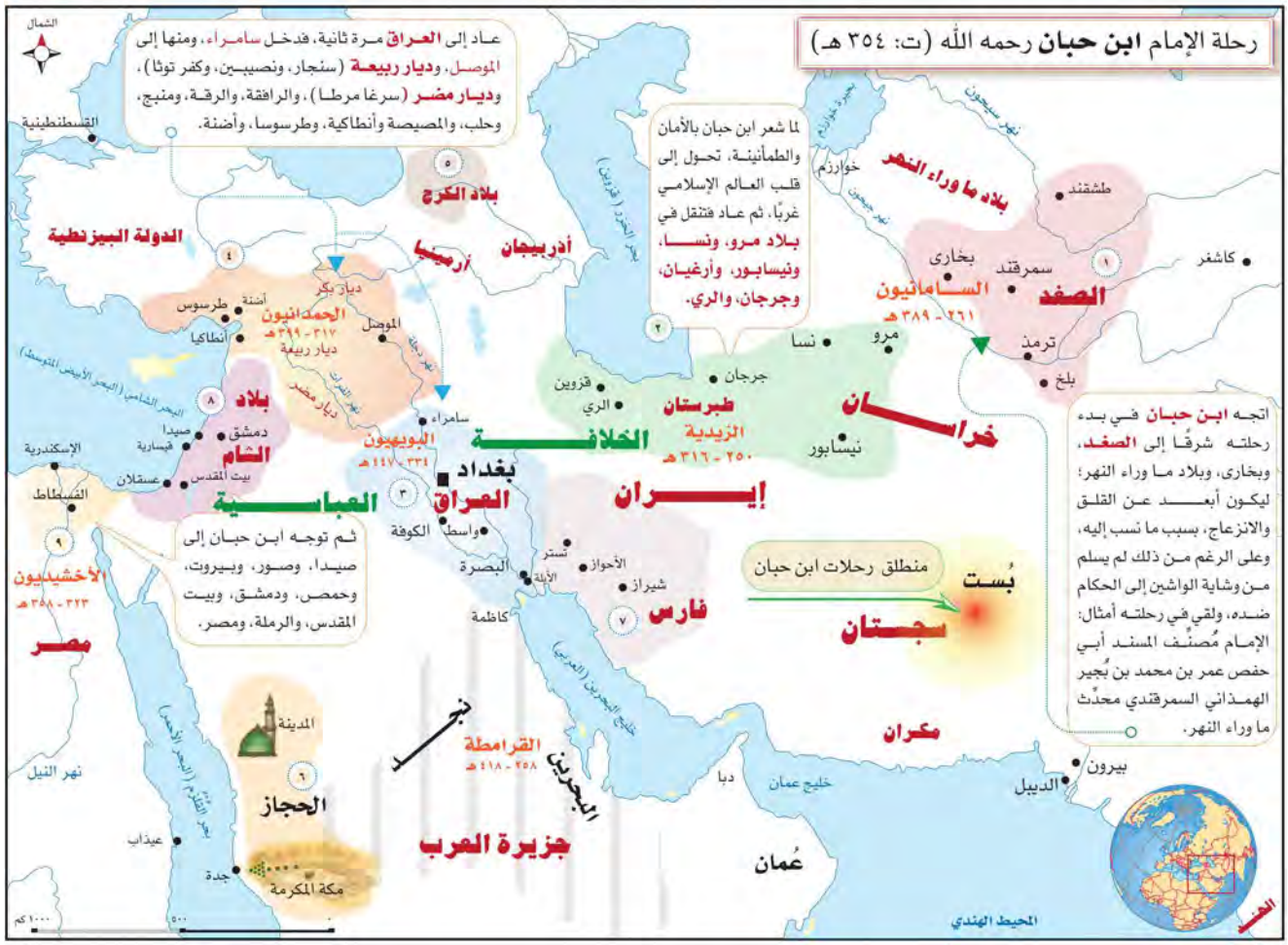

بلاد ماوراء النهر، منطقة تاريخية تتكون من جزء من آسيا الوسطى، تشمل أراضيها أوزبكستان والجزء الجنوب الغربي من كازاخستان والجزء الجنوبي من قيرغيزستان، ومن أهم المدن: سمرقند – بخارى – فرغانة – طشقند – خوارزم – مرو – ترمذ. وهي أسماء تدل على أعلام لهم مكانتهم في التاريخ الإسلامي، مر علينا بعضًا منهم كالبخاري وسيأتي مثل: الترمذي والسمرقندي وآخرون.

«وأما الطريق من **سجستان** إلى **بُست** فأول مرحلة إلى زانبوق، ومن زانبوق إلى سروزن- قرية عامرة سلطانية- مرحلة، ومن سروزن إلى حروري- قرية عامرة سلطانية، وبينهما نهر نيشك وعليها قنطرة معقودة من آجر- مرحلة، ومن حروري إلى دهك، والمنزل رباط من حدّ دهك ومن هذا الرباط المفازة، فمنزل منها رباط يسمى آب شور، ومن آب شور إلى رباط كرودين، ومن رباط كرودين إلى رباط قهستان، ومن رباط قهستان إلى رباط عبد الله، ومن رباط عبد الله إلى **بُست**، ومن رباط دهك إلى فرسخ من بست كلها مفازة. وأما الطريق من **بُست** إلى غزنة: فإنّ من **بُست** إلى رباط فيروز قند منزل، ومنه إلى رباط ميغون منزل، ومنه إلى رباط كبير منزل، ثم إلى مدينة الرخّج المسماة بنجواي منزل، ومنها إلى تكين أباذ منزل، ثم إلى خرسانة منزل، ثم إلى رباط سراب منزل، ثم إلى الأوقل - وهو رباط- منزل...» .

وصف الاصطخري المعاصر (لابن حبان) لإقليم سجستان •.

• - المسالك والممالك: أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

علق
الإمام الذهبي على علو
كعبه في العلوم والمعارف فقال :
«كذا فلتكن الهمم» (سير أعلام
النبلاء ١٦/ ٩٤).

أبدع رحمه الله في شتى العلوم، فإلى جانب تبحره في علم الحديث، كانت له معرفة واسعة في علم الفقه، مع القدرة الفائقة على استنباط المسائل والأحكام من النصوص، وأبدع أيضًا في علم العربية وعلم الطب والنجوم وغيرها، ويظهر ذلك واضحًا من خلال الثروة العلمية الهائلة من المصنَّفات التي خلفها لنا.

شيوخه :

١- أحمد بن الحسن بن عبد الجبار بن راشد البغدادي الصوفي الكبير، (أبو محمد) وثقه الخطيب وغيره، وكان صاحب حديث وإتقان (ت: ٣٠٦هـ) (انظر : تاريخ بغداد ٥/ ١٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٢).

٢- أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى ابن هلال التميمي (أبو يعلى الموصلي)، محدث الموصل وصاحب المُسند والمعجم (ت: ٣٠٧هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٧٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٧).

٣- الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز، أبو العباس الشيباني الخراساني النسوي، صاحب المُسند (ت: ٣٠٣هـ) وقد حضر دفنه ابن حبان (انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٣).

٤- الحسين بن محمد بن أبي معشر مودود، أبو عروبة السلمي الحراني الجزري، مفتي أهل حَرّان ومصنف كتاب (الطبقات) و(تاريخ الجزيرة) (ت: ٣١٨هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥١٠، وشذرات الذهب ٢/ ٢٧٩).

٥- ابن خزيمة إمام الأئمة وشيخ خراسان .

٦- السَّرَّاج: هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم ابن مهران، أبو العباس السراج الثقفي مولاهم الخراساني النيسابوري، صاحب (المُسند الكبير) (ت: ٣١٣هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٨٨، والوافي بالوفيات ٢/ ١٨٧).

٧- عبد الله بن محمد بن سلم، أبو محمد المقدسي الفريابي الأصل، وصفه ابن المقرئ

بالصلاح والدين، توفي سنة اثنتي عشر وثلاث مئة (انظر: الأنساب ٤٥٢/٣، وسير أعلام النبلاء ٣٠٦/١٤).

٨- عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن شيرويه بن أسد، أبو محمد القرشي المطلبي النيسابوري، صاحب التصانيف (ت: ٣٠٥هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ١٦٦/١٤، وشذرات الذهب ٢٤٦/٢).

٩- عمران بن موسى بن مجاشع، أبو إسحاق الجرجاني السختياني، مصنف (المُسند) (ت: ٣٠٥هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ١٣٦/١٤، وتذكرة الحفاظ ٧٦٢/٢).

١٠- عمر بن سعيد بن أحمد بن سعد بن سنان، أبو بكر الطائي المنبجي، قال الذهبي: «لم أظفر له بوفاة» (انظر: تاريخ دمشق ٣٨/٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٩٠/١٤).

١١- عمر بن محمد بن بُجير، أبو حفص الهمداني البُجَيري السمرقندي محدث ما وراء النهر ومصنف (المسند) و (التفسير) وغيرهما (ت: ٣١١هـ) (انظر: تاريخ دمشق ٢١٣/٤٨، وتذكرة الحفاظ ٧١٩/٢).

١٢- الفضل بن الحُبَاب، أبو خليفة الجمحي البصري الأعمى، لقي الأعلام وكتب علمًا جمًّا، وكان ثقة صادقًا مأمونًا أديبًا فصيحًا مفوّهًا، رُحل إليه من الآفاق، (ت: ٣٠٥هـ) (انظر: تاريخ دمشق ٢١٣/٤٨، وتذكرة الحفاظ ٧١٩/٢).

١٣- محمد بن الحسن بن قتيبة، أبو العباس اللخمي العسقلاني، كان مسند أهل فلسطين، ذا معرفة وصدق (ت: ٣١٠هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ٢٩٢/١٤، وتذكرة الحفاظ ٧٦٤/٢).

١٤- النسائي: هو أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي صاحب (السُّنَن)، كان من بحور العلم (ت: ٣٠٣هـ) (انظر: تهذيب الكمال ٤٣/١ (٤٥)، وسير أعلام النبلاء ١٢٥/١٤).

من تلاميذه:

١- الحاكم: هو محمد بن حمدوُيه بن نعيم بن الحكم، أبو عبدالله بن البَيِّع الضبي الطهماني النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف (ت: ٤٠٥هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ١٦٢/١٧، وتذكرة الحفاظ ١٠٣٩/٣).

٢- الدارقطني: هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني، من بحور العلم، وأئمة الدنيا في الحفظ والفهم والورع، صاحب (السُّنن) و(العِلل) وغيرها (ت: ٣٨٥هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٦، وتذكرة الحفاظ ٩٩١/٣).

٣- ابن منده: هو أبو عبدالله محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي الأصبهاني، صاحب كتاب (معرفة الصحابة) و(التوحيد) وغيرها (ت: ٣٩٥هـ) (انظر: سير أعلام النبلاء ٢٨/١٧، وتذكرة الحفاظ ١٠٣/٣). وغير ذلك من العلماء ممّا حوته كتب التراجم والأعلام.

ذكر **ابن حبان** في مقدمة صحيحه «وأما شرطنا في نقلة ما أودعناه كتابنا هذا من السُّنَن فإنَّا لم نحتج فيه إلا بحديث اجتمع في كل شيخ من رواته خمسة أشياء»:

الشرط الأول العدالة في الدين بالستر الجميل.

الشرط الثاني الصدق في الحديث بالشهرة فيه.

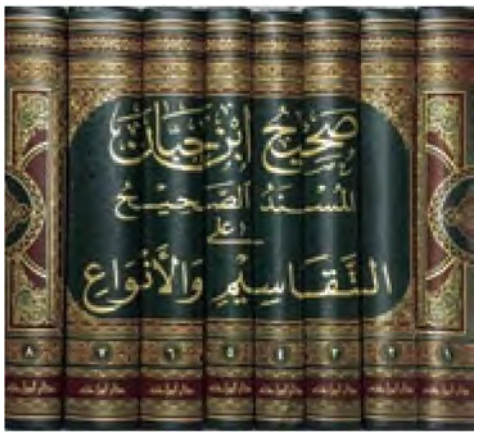

الشرط الثالث العقل بما يحدِّث من الحديث.

الشرط الرابع العلم بما يُحيل من معاني ما يروي.

الشرط الخامس المتعري خبره عن التدليس.

وقال في آخر كتابه: كل شيخ ذكرته في هذا الكتاب فهو صدوق يجوز الاحتجاج بروايته، إذا تعرى خبره عن خمس خصال، فإذا وجد (خبر منكر) عن شيخ من هؤلاء الشيوخ الذين ذكرت أسماؤهم فيه، كان ذلك الخبر لا ينفك عن إحدى **خصال خمس**:

- إما أن يكون فوق الشيخ الذي ذكرته في هذا الكتاب شيخ ضعيف سوى أصحاب رسول ﷺ فإن الله نزه أقدارهم عن إلزاق الضعف بهم.
- أو دونه شيخ واهن، لا يجوز الاحتجاج بخبره.
- أو يكون منقطعًا فلا تقوم بمثله الحجة.
- أو الخبر يكون مرسلًا لا تلزمنا به الحجة.
- أو يكون في الإسناد شيخ مدلس لم يبين سماع خبره عمن سمع منه.

آثاره العلمية: يعد ابن حبان رحمه الله أحد العلماء البارزين المكثرين في التصنيف، إذ له عدد كبير من المصنفات، يغلب عليها التصنيف في الحديث والجرح والتعديل، وقد أبدع فيها، شهد بذلك ياقوت الحموي كما مر إذ قال: «أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره» (معجم البلدان ٢/٣٢٩).

استقصى هذه المصنفات عدد من الباحثين المعاصرين منهم: الشيخ شعيب الأرناؤوط في مقدمة كتاب (الإحسان) ١/٢٩ – ٣٣، وفصلوا القول فيها، فبينوا مطبوعها من مخطوطها من مفقودها، وسأكتفي هنا بذكر بعضها، فمنها:

١- أسامي من يعرف بالكنى، ثلاثة أجزاء (معجم البلدان ٢/٣٣٠).

٢- أنواع العلوم وأوصافها، ثلاثة مجلدات (سير أعلام النبلاء ١٦/٩٥).

٣- التقاسيم والأنواع، وقد طبع ترتيبه باسم الإحسان.

٤- الثقات، وهو كتاب مطبوع متداول.

٥- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، وهو مطبوع.

٦- علل أوهام أصحاب التواريخ، عشرة أجزاء (معجم البلدان ٢/٣٣٠).

٧- علل حديث مالك، عشرة أجزاء (سير أعلام النبلاء ١٦/٩٥).

٨- علل مناقب الزهري، عشرون جزءًا (سير أعلام النبلاء ١٦/٩٥).

٩- غرائب الأخبار، عشرون جزءًا (معجم البلدان ٢/٣٣٠).

١٠- الفصل والوصل، عشرة أجزاء (معجم البلدان ٢/٣٣٠).

١١- ما انفرد به أهل مكة من السُّنَن، عشرة أجزاء (سير أعلام النبلاء ١٦/٩٥).

١٢- ما انفرد فيه أهل المدينة من السُّنَن، عشرة أجزاء (معجم البلدان ٢/٣٣٠).

١٣- ما خالف فيه الثوري شعبة، ثلاثة أجزاء (معجم البلدان ٢/٣٣٠).

١٤- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، وهو مطبوع متداول بين أهل العلم.

١٥- مشاهير علماء الأمصار، وهو كتاب مطبوع.

١٦- المعجم على المدن، عشرة أجزاء (سير أعلام النبلاء ١٦/٩٥).

١٧- الهداية إلى علم السنن، مجلد (سير أعلام النبلاء ١٦/٩٥).

وغير ذلك من المصنفات ممّا ورد في كتب التراجم والأعلام.

• - كتاب سير أعلام المحدثين، لأحمد مختار رمزي.

• - صحيح ابن حبان / المُسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان، المجلد الأول، تحقيق د: محمد علي سونمز، د: خالص آي دمير، دار ابن حزم.

محنة ابن حبان (•)

تُعد المحنة التي تعرض لها **الإمام ابن حبان**، وكادت تودي بحياته، وتقضي على تراثه وعلمه من أعجب المحن والفتن التي يتعرض لها أحد من أهل العلم، وتدل على مدى خطورة الجهل بمعاني الألفاظ ومدلولاتها، وأيضًا تدل على مدى خطورة تحميل الألفاظ والأقوال من أوجه الكلام ما لا تحتمله، ولا يتفق مع دين وعقيدة ومكانة قائلها، ويحضرنا عند الحديث عن محنة ابن حبان العجيبة مقولة الإمام مالك الشهيرة: إذا قال الرجل قولًا يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهًا، والإيمان من وجه واحد حملناها على الإيمان، لأنها تكاد تنطبق على هذه المحنة الغريبة.

ومفاد الحادثة أن الإمام ابن حبان في أثناء إلقائه لأحد الدروس في (نيسابور) سئل عن النبوة، فقال: النبوة «العلم والعمل»، وكان يحضر مجلسه بعض الوعاظ؛ فقام إليه واتهمه بالزندقة، والقول بأن النبوة مكتسبة، وارتفعت الأصوات في المجلس، وهاج الناس بين مؤيد للتهمة، ونافٍ لها، وخاضوا في هذا الخبر على كل وجه، حتى كتب خصوم ابن حبان محضرًا بالواقعة، **وحكموا عليه بالزندقة**، ومنعوا الناس من الجلوس إليه، وهُجر الرجل بشدة، وبالغوا في أذية ابن حبان، وتمادوا في ذلك حتى كتبوا في أمر قتله وهدر دمه إلى الخليفة العباسي وقتها، فكتب بالتحري عن الأمر، وقتله إن ثبت عليه التهمة، وبعد أخذ ورد اتضحت براءة ابن حبان، ولكنهم أجبروه على الخروج من (نيسابور) إلى (سجستان)، وهناك وجد أن الشائعات تطارده، والتهمة ما زالت تلاحقه، وتصدى له أحد الوعاظ هناك، واسمه يحيى بن عمار، وظل يؤلب عليه حتى خرج من (سجستان)، وعاد إلى بلده (بست)، وظل بها حتى مات رحمه لله مهمومًا محزونًا من الأباطيل، وتهم الزندقة والإلحاد.

ولكن هل مجرد كلمة واحدة تجلب على هذا العلم الفذ كل هذه المتاعب؟ ولا شك إن هذه الكلمة وأمثالها قد تفعل مثل ذلك وزيادة إذا ألقيت على أسماع من لا يفهم اللغة ومدلولاتها، وأيضًا إذا ألقيت على أسماع الحاسدين والموتورين، الذين يتربصون بأمثال هذا العالم العلامة الدوائر، وينتظرون أي مناسبة وفرصة، ولو بشطر كلمة للنيل منه.

فإن كلمة: النبوة العلم والعمل يقولها المسلم، ويقولها الزنديق، يقولها المسلم ويقصد بها مهمة النبوة، إذ من أكمل صفات النبي العلم والعمل، فما من نبي قط إلا وهو

وهكذا ترى كيف أن أصحاب العقائد الباطلة، والمذاهب الفاسدة كانوا، وما زالوا يلعبون دورًا خطيرًا في فساد ذات البين، وفي محن العلماء الربانيين، وأية محنة أشد على العالم من أن يقاطع تلاميذه، ويعادي أخص أصحابه، الذين كانوا مصدر فخره، وأحد أسباب شهرته، والله أعلم بالعاقبة.

• - شريف عبدالعزيز الزهيري، محنة الإمام ابن حبان، موقع الألوكة.

على أكمل حال من العلم والعمل، وليس كل من برز فيهما نبيًّا، لأن النبوة محض اصطفاء من الله عز وجل، لا حيلة للعبد في نيلها، ولا اكتسابها، وابن حبان لم يرد حصر المبتدأ في الخبر، وذلك نظير قوله ﷺ: «الحَجُّ عَرَفَةٌ» رواه الترمذي (٣/٢٣٧ رقم٨٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٥٤٨٣)، ومعلوم أن عرفة هو ركن الحج الأعظم، ولكن لا يكفي وحده حتى يصير العبد حاجًّا، بل هناك أركان وفروض أخرى لشعيرة الحج، ولكن عرفة ركن الحج الأعظم، كما أن العلم والعمل مهم للنبوة، وهذا ما قصده وأراده ابن حبان، وهذا ما يجب أن يحمل كلامه عليه، وهذا اللائق؛ بمكانته وعلمه، وأيضًا اللائق بخلق المسلم الصادق الذي يحسن الظن بإخوانه المسلمين، وأيضًا هذه الكلمة يقولها الفيلسوف الزنديق وهو يقصد بها أن النبوة مكتسبة، ينتجها العلم والعمل، وكثرة الرياضات والمجاهدات، وهذا كفر مخالف للقرآن وللسُّنَّة، وإجماع المسلمين، وهذا ما لا يريده ابن حبان ولا يقصده أبدًا، وحاشاه، فهو من كبار علماء الأمة وأئمتها، ولكن الجهل والحقد والحسد أعمى قلوب معارضيه حتى خاضوا فيه، وأجبروه على الرحيل من مكان لآخر حتى استقر في بلده وبها مات، وما أشبه هذه الحادثة بما جرى للبخاري؛ فرحم الله الرجلين، وأجزل لهما المثوبة، وجعل من أبناء الأمة من يذُّبون عن أعراضهم، ويدفعون عنهم الأباطيل والأكاذيب، ويكشفون بطلان تهم خصومهم، ويعرِّفون أبناء المسلمين حقيقة علماء هذا الدين. ا. هـ.

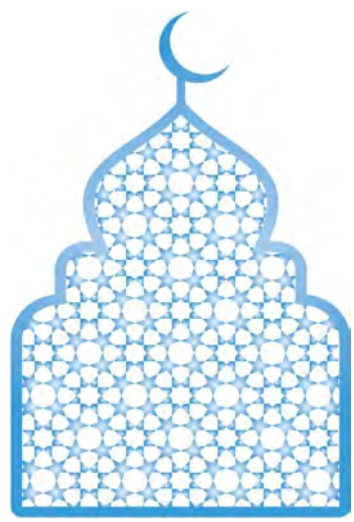

عقيدة ابن حبان

إذن؛ فابن حبان من متكلمة الصفاتية الذين سلكوا طريق الجهمية والمعتزلة في كلامهم في الصفات، وهو معدود في أتباع ابن كلاَّب البصري المتكلم.

قال ابن تيمية: «وكان أبو محمد بن كلاَّب؛ هو الأستاذ الذي اقتدى به الأشعري في طريقه هو وأئمة أصحابه؛ كالحارث المحاسبي، وأبي العباس القلانسي، وأبي سليمان الدمشقي، وأبي حاتم البستي». ا.هـ (منهاج السُّنَّة ٢/٣٢٧).

وجاء في ترجمة علي بن موسى الرضا: «وقبره بسناباذ خارج النوقان؛ مشهور يزار؛ بجنب قبر الرشيد؛ قد زرته مرارًا كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس؛ فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه، ودعوت الله إزالتها عني؛ إلا استجيب لي، وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء جربته مرارًا فوجدته كذلك». الموقع الرسمي للشيخ/ عماد فراج.

الإمام أبو عبدالله الحاكم (٣٢١ - ٤٠٥ هـ)

هو **محمد بن عبدالله** بن محمد بن حَمْدُوْيه بن نُعَيْم بن الحكم، أبوعبدالله **الحاكم** النُّعَيْمِي، الضّبي، الطهماني، النيسابوري، ابن البيِّع - ويقال: البَيَّاع.

ولد بنيسابور صبيحة يوم الإثنين الثالث من شهر ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ.

قال الحافظ ابن كثير في (البداية) (١٥/ ٥٦١): كان من أهل الأمانة والديانة والصيانة والتحرز والورع -رحمه الله تعالى-. وقال أبو حازم العبدوي كما في (التبيين) ص (٢٢٩): كان الأمير أبو الحسن يستعين برأيه، وينفذه للسفارة بينهم وبين البويهية. وقال عبدالغافر الفارسي في (السياق) كما في (المنتخب) ص (١٦)، و(النبلاء) (١٧/ ١٧٠): كان الإمام أبو إسحاق الصبغي قد اختصه بالصحبة واعتماده، وأوصى إليه في أمور مدرسته دار السُّنَّة، وفوَض إليه تولية أوقافه في ذلك، واستضاء برأيه في أموره اعتمادًا على حسن ديانته ووفر أمانته.

قرأ القرآن بنيسابور على: أبي عبدالله محمّد بن أبي منصور الصوام، وأحمد ابن العباس بن الإمام، وعلي ابن سهل الأشناني وغيرهم. وبالعراق على: أبي علي بن النقار الكوفي، وأبي عيسى محمد بن بكار البغدادي، وغيرهما. قال عبدالغافر في (السياق) كما في (المنتخب): قرأ القرآن بخراسان والعراق على قراء وقته.

تفقه على يد علي بن أبي هريرة، وأبي الوليد حسان بن محمد القرشي، وأبي سهل محمد بن سليمان الصعلوكي، وغيرهم. ولم تمنعه هذه المكانة الرفيعة التي تبوأها منذ صغره وفاق بها أقرانه، عن المضي قدمًا في تحصيل العلم والعلو والارتفاع فيه، فإنه ما إن رحل الإمام ابن حبان من نيسابور إلا وأنشأ رحلة طويلة إلى مدينة العلم وموسم العلماء والفضلاء مدينة السلام.

قال الذهبي: وصنف وخرَّج، وجرَح وعدَّل، وصحح وعلل، وكان من بحور العلم، على تشيع قليل فيه. ا. هـ. قلت: وللمحدثين ردود علمية عليه يحسن الرجوع لها.

• - أبو الطيب: نايف بن صلاح بن علي المنصوري، الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، تقديم فضيلة الشيخ أ.د. سعد بن عبدالله الحميد، فضيلة الشيخ د. حسن محمد مقبولي الأهدل، قدم له وراجعه ولخص أحكامه: فضيلة الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

وأمّا **خراسان** فإنّها تشتمل على كور، وهو اسم الإقليم، والّذي يحيط بها من شرقيّها نواحـي سجستـان، وأمّا كـور خراسان الّتي تجمع علـى الأعمال وتفرق فـإنَّ أعظمها نيسابـور، ومرو، وهراة، وبلخ، وبخراسان كور دونها فى الكبر فمنها قوهستان وطوس ونسـا وأبيـورد وسرخـس وأسفـزار وبوشنـج وباذغيـس وكنـج رستاق، ومـرو روذ، وجوزجان، وغرج الشار، والباميان، وطخارستان، وزمّ، وآمل، ... . الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، ص ٢٥٣ - ٢٥٤. دار صادر- بيروت ٢٠٠٤م.

نشأ -رحمه الله تعالى- في بيئة مباركة؛ علا نجمها وانتشر صيتها، وامتلأت بالعلم والعلماء والمحدثين خاصة، بيئة أنجبت الفحول من أئمة المنقول والمعقول، بيئة ذات مكانة سامية مرموقة بين بلدان العالم الإسلامي آنذاك، قال السبكي في (طبقاته) (١/ ٣٢٤): كانت نيسابور من أجلِّ البلاد وأعظمها، لم يكن بعد بغداد مثلها. وكيف لا تكون بهذه المنزلة الشامخة، وقد ساهم وساعد وشجع في تأسيسها وبنائها الصحيح العلماء والأمراء السامانيين الذين حكموها حقبة طويلة من الزمن، وانتشرت فيها المدارس الحديثية كمدرسة ابن فُورك، ومدرسة أبي إسحاق الإسفراييني، ومدرسة أبي إسحاق الصبغي، وكلهم شيوخه، بل كان من المقربين لديهم، وممن له اختصاص بهم، فساعده هذا كله في تكوينه العلمي، وتضلعه الحديثي، إضافة إلى ما أكرمه الله تعالى به من صلاح أسرته وأهل بيته؛ الذين ترعرع ونشأ منذ نعومة أظفاره بين أوساطهم وهم يوجهونه إلى العلم، قال عبد الغافر في (السياق) كما في (المنتخب) ص (١٦): وبيته بيت الصلاح والورع والتأذين. فحرصوا عليه غاية الحرص، واعتنوا به غاية العناية، فبكروا به إلى مجالس العلم والعلماء صغيرًا، فكان أول سماعه للحديث سنة ٣٣٠ هـ أي وعمره لم يتجاوز سن التاسعة، ففي (معرفة علوم الحديث) ص (١٢٨): نشأت وطلبت الحديث بعد وفاة محمد بن إسحاق بعشرين سنة. وقال الخطيب في (تاريخه) (٥/ ٤٧٣): ولد سنة ٣٢١ هـ، وأول سماعه في سنة ٣٣٠ هـ. وقال الذهبي في (النبلاء) (١٧/ ١٦٣): طلب هذا الشأن في صغره بعناية والده وخاله، وأول سماعه كان في سنة ٣٠ هـ. واستمر -رحمه الله- على هذه الحال من الانكباب والتحصيل للعلم، ولم تثنه عن ذلك طفولته، وما تُغري به من اللهو واللعب والدعة والكسل عن الجد والاجتهاد في طلب معالي الأمور.

فقل لمُرَجِّي معالي الأمور ... بغير اجتهاد رجوت المحالا!

ولنباهته منذ حداثته ونبوغه وحدة ذكائه، وتوفر علائم النجابة عليه، جعله ابن حبان -صاحب الصحيح- حين قدم نيسابور سنة ٣٣٤ هـ مستمليًا عليه، وهو ابن ١٣ سنة، مع وجود من هو أكبر منه سنًّا، وأشهر منه ذكرًا، فقد قال متحدِّثًا عن ذلك في (تاريخ نيسابور) ترجمة ابن حبان: «ثم ورد (نيسابور) سنة ٣٣٤ هـ، وحضرناه والعراق مرتين».

• المصدر السابق.

ثناء العلماء عليه وبعضًا من مصنفاته

شهـد علماء عصره ومن بعدهم بجلالته وحفظه وعلمه وعظم قدره، منهم: الدارقطني وكان سئل: أيهما أحفظ: ابن منده أو ابن البيِّع؟ فقال: ابن البيِّع أتقـن حفظًا. ا هـ. وقال ابن طاهر: سألت سعد بـن علي الحافظ عن أربعة تعاصروا: أيهم أحفظ؟ قال: من؟ قلت: الدارقطني، وعبد الغني، وابن منده، والحاكـم. فقال: أما الدارقطني فأعلمهم بالعلـل، وأما عبد الغني فأعلمهم بالأنسـاب، وأمـا ابن منـده فأكثرهم حديثًا مـع معرفة تامـة، وأما الحاكم فأحسنهـم تصنيفًا. ا هـ. وقال الخليلـي: ناظر الدارقطني فرضيه، وهو ثقة واسع العلم، بلغت تصانيفه قريبًا من خمس مئة جزء. ا هـ.

قـال الخطيب البغدادي: كان من أهل العلـم والفضل والمعرفة والحفظ، وله فـي علـوم الحديث مصنفات عدة ... قال: وكان ثقـة. ا هـ. وقال عبدالغافر ابن إسماعيل: الحاكم أبو عبدالله هو إمام أهل الحديث في عصره، العارف بـه حـق معرفته. ا هـ. وقـال الذهبي: الإمـام الحافظ الناقـد العلامة شيخ المحدثين. ا هـ. وقال ابن ناصر الدين: هو صدوق من الأثبات. ا هـ. وقال ابن خلكان: إمام أهل الحديث في عصره، كان عالمًا عارفًا واسع العلم. إلى غير ذلك من شهادات أهل العلم له، رحمهم الله جميعًا.

رُزِق الإمـام الحاكم -رحمه الله- حسن التصنيـف وغزارته، فذكر بعضهم أن تصانيفه بلغت قريبًا من خمس مئة جزء كما يذكر ذلك الذهبي في (النبلاء)، وقيـل: ألف جـزء، وقيل: ألف وخمس مئة جزء. قال أبـو حازم العبدوي: سمعته يقول: شربت ماء زمزم، وسألت الله -تعالى- أن يرزقني حسن التصنيف. فوقع مـن تصانيفـه المسموعة في أيـدي النساخ ما يبلغ ألفًا وخمسـ مئة جزء منها: (الصحيحـان)، و(العلـل)، و(الأمـالي)، و(فوائـد الشيـخ)، و(فوائـد الخراسانيـين)، و(أمالي العشيـات)، و(التلخيص)، و(الأبـواب)، و(تراجم الشيـوخ)، فأمـا الكتب التي انفـرد بإخراجهـا: فـ (معرفة علـوم الحديث)، و (تاريـخ علماء أهـل نيسابـور)، وكتاب (مزكـي الأخبار)، و(المدخـل إلى علم الصحيـح)، وكتـاب (الإكليـل)، وفـي (دلائـل النبـوة)، و(المستـدرك على الصحيحـين)، ومـا انفـرد بإخراجـه كُلٌّ من واحد مـن الإمامـين، و(فضائل الشافعي)، و (تراجم المُسند على شرط الصحيحين)، وغير ذلك.

• - أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، تقديم فضيلة الشيخ أ.د. سعد بن عبدالله الحميد، فضيلة الشيخ د. حسن محمد مقبولي الأهدل، قدم له وراجعه ولخص أحكامه: فضيلة الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

رحلات الحاكم النيسابوري في طلب العلم

بعد أن سمع الإمام الحاكم -رحمه الله تعالى- من شيوخ بلدته (نيسابور) والراحلين إليها كما سبق، وأمعن في ذلك، حتى ذكر بعضهم أنه سمع من نحو ألف شيخ بها، فيا لها من همة عالية، ونفس أبية، يصدق فيها قول الشاعر:

له همة إن قست فرط علوِّها ... حسبت الثريَّا في قرار قليب

وقول الآخر:

همتي همة الأسود ونفسي ... نفس حر ترى الشهادة مغنم

ومن كانت هذه همته لا يرضى بالدون، ولا يقنع بالقليل، وكما قيل: «ذو الهمة إن حُطَّ فنفسه تأبى إلا علوًّا، كالشعلة في النار يصوبها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعًا». وكذا الإمام الحاكم -رحمه الله تعالى- لم يقنع بالمنزلة التي سبق بيانها، بل رحل في تحصيل العلوم، فسمع كثيرًا كما يقوله الحافظ ابن كثير، وشمَّر عن ساق الجد والاجتهاد.

بهمة في الثريا إثر أخمصها ... وعزمة ليس من عادتها السأمُ

فطاف البلاد، واستوطن السهاد، وآثر قطع المفاوز والقفار، على التنعم في الدمن والأوطار، ورفض ما تتوق إليه النفوس الشهوانية، في سبيل طلبه للأحاديث النبوية، فرحل إلى العراق والحجاز، وبلاد خراسان، وبلاد الجبل، وبلاد ما وراء النهر، وبلاد خوزستان، قال السمعاني في «الأنساب» (١/ ٤٥٥): له رحلة إلى العراق، والحجاز، ومرو، وما وراء النهر.

فرحلاته إذن على النحو الآتي:

رحلته الأولى إلى العراق والحجاز.

رحلته الثانية إلى العراق والحجاز.

رحلته إلى بلاد خراسان (يقع منها اليوم جزء في أفغانستان، وجزء في إيران، وجزء في جمهورية تُرْكُمانستان).

رحلته إلى بلاد الجبال ويقال الجبل.

رحلته إلى بلاد ما وراء النهر.

رحلته إلى بلاد الأحواز (خوزستان). (انظر التفصيل في الصفحة المقابلة).

قال الحاكم: ودخلت الكوفة أول ما دخلتها سنة ٣٤١ هـ، وكان أبو الحسن ابن عقبة الشيباني يدلني على مساجد الصحابة، فذهبت إلى مساجد كثيرة منها، وهي إذ ذاك عامرة، وكنا نأوي إلى مسجد جرير بن عبدالله في بَجيلة. وفي «تاريخ نيسابور» ترجمة أبي الأصبغ عبدالعزيز بن عبدالملك ذكر الحاكم أنه التقى به بالكوفة سنة ٣٤١ هـ.

• - أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، الرَّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، تقديم فضيلة الشيخ أ.د. سعد بن عبدالله الحميد، فضيلة الشيخ د. حسن محمد مقبولي الأهدل، قدم له وراجعه ولخص أحكامه: فضيلة الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

العراق

أولًا.. الرحلة الأولى سنة ٣٤١هـ.
الرحلة الثانية سنة ٣٦٨ هـ

الحجاز

ثانيًا.. الرحلة الأولىسنة ٣٤٣هـ.
الرحلة الثانية سنة ٣٦٨ هـ.

خراسان

ثالثًا..رحل إلى بلاد خراسان سنة ٣٤٣، قلت: وبلاد خراسان يقع منها اليوم جزء في أفغانستان، وجزء في إيران، وجزء في جمهورية تُرْكُمانستان، ومن هذه البلاد التي رحل إليها من بلاد خراسان.

الجبل

رابعًا .. هَمَذَان: قال المقدسي في (المختار من أحسن التقاسيم) ص (٥٦٤): هي مصر إقليم الجبل. قال أبو عبدالله الحاكم: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن إبراهيم الحافظ بهمذان في شهر ربيع الأول سنة سنة ٣٤٦ هـ.

ما وراء النهر

خامسًا .. قال الذهبي في (النبلاء) (١٧/ ١٦٣): لحق (احاكم) الأسانيد العالية بخراسان، والعراق، وما وراء النهر. وقال أبو حازم العبدوي: أملى بما وراء النهر سنة ٣٥٥ هـ. وبخارى: قال ياقوت : هي من أعظم مُدُن ما وراء النهر وأجلها.

الأهواز

سادسًا .. خوزستان (الأحواز) وهي بلاد كثيرة بين البصرة وفارس، وأعظم كورها الأحواز، ويقال لها: هرمز ، وتقع حاليًا في الجنوب الغربي لجمهورية إيران، وقد سمع الحاكم بها من أبي العباس أحمد بن زياد الفقيه. وهي آخر رحلاته.

المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري

كتاب المستدرك على الصحيحين كتاب أراد الحاكم بتأليفه خدمة السُّنَّة النبوية بلا شك، فمن المعلوم مما تواتره أهل العلم أن أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى الصحيحان، ولكنهما لم يجمعا كل الصحيح؛ لذا كانت همة بعض العلماء أن يضيفوا إليهما مما ليس فيهما ويساويهما في الصحة مما هو على شرط البخاري ومسلم أو على شرط أحدهما أو يكون صحيحًا مقاربًا لذلك. ومن هؤلاء أبو عبدالله الحاكم رحمه الله.

بيد أن الحاكم - رحمه الله - وقع في أوهام في هذا المستدرك، وتبعه الذهبي أيضًا في كثير منها في تلخيصه على المستدرك، ولعل ذلك لأن الحاكم صنف المستدرك في نهاية عمره، وكان يملي من حفظه غالبًا، ثم لم يتسن له أن يراجع ما كتبه وأملاه، ووافته منيته قبل أن ينقحه، وقد ذكر بعضهم أنه حدث له في نهاية عمره تغيرًا وغفلة، فوقع بذلك في الأوهام. ونقل السيوطي في (تدريب الراوي) عن الحافظ ابن حجر قوله: وإنما وقع للحاكم التساهل لأنه سوَّد الكتاب لينقحه فأعجلته المنية. قال: وقد وجدت في قريب نصف الجزء الثاني من تجزئة ستة من المستدرك: إلى هنا انتهى إملاء الحاكم. ثم قال: وما عدا ذلك من الكتاب لا يؤخذ عنه إلا بطريق الإجازة، فمن أكبر أصحابه وأكثر الناس له ملازمة البيهقي، وهو إذا ساق عنه في غير المملى شيئًا لا يذكره إلا بالإجازة، قال: والتساهل في القدر المملى قليل جدًّا بالنسبة لما بعده.

قال ابن حجر في (لسان الميزان): والحاكم أجل قدرًا وأعظم خطرًا وأكبر ذكرًا من أن يذكر في الضعفاء، لكن قيل في الاعتذار عنه: إنه عند تصنيفه للمستدرك كان في أواخر عمره، وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره، ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة في كتاب الضعفاء له وقطع بترك الرواية عنهم ومنع من الاحتجاج بهم، ثم أخرج أحاديث بعضهم في مستدركه وصححها (انظر لسان الميزان: ٥/ ٢٣٣ - حيدر أباد).

اشتغل على خدمة المستدرك بعض الحفاظ لإتمام الفائدة منه، فعمل الحافظ الذهبي التلخيص: لخص فيه كلام الحاكم، وله عليه استدراكات، وله فيه أوهام ذكرها أهل الاختصاص في ذلك.

• - محمد بن محمود بن إبراهيم عطية، الانتباه لما قال الحاكم ولم يخرجاه وهو في أحدهما أو رواياه، ص ١٦، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م.

تقسيم الحاكم النيسابوري لمكانة الصحابة رضي الله عنهم، حيث يرى أنهم ينقسمون إلى اثنتي عشرة درجة:

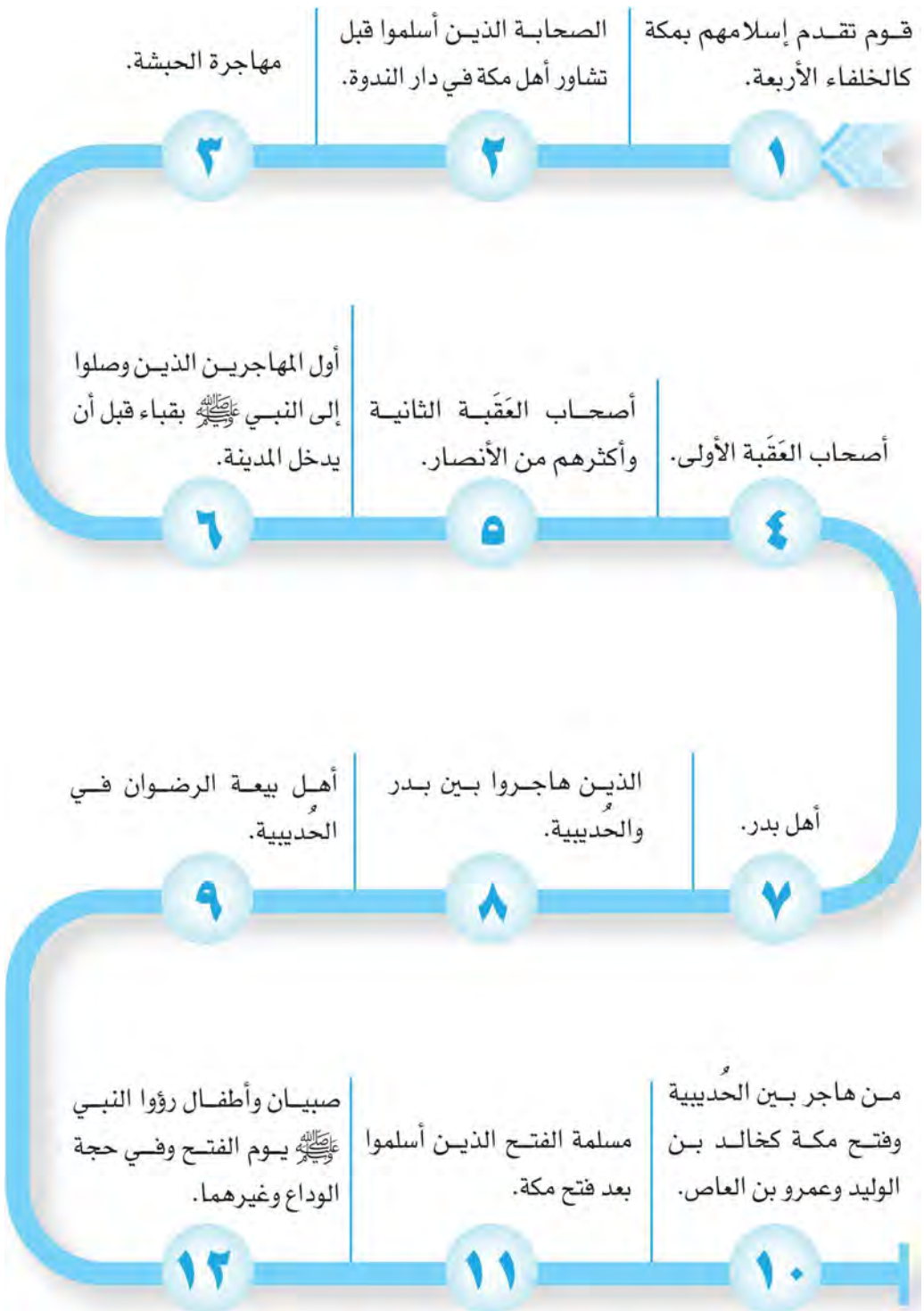

عقيدته[•]

ذكر الحافظ ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) ص (٢٢٧)، الحاكم النيسابوري في الطبقة الثانية من أصحاب أبي الحسن الأشعري، وذكر أن هذه الطبقة هم الذين صحبوا أصحابه وسلكوا مسلكه في الأصول وتأدبوا بآدابه. وقال السبكي في (طبقاته) (٤/ ١٦٢) مدللًا على كونه كان أشعري العقيدة: نظرنا مشايخه الذين أخذ عنهم، وكانت له بهم خُصوصية؛ فوجدناهم من كبار أهل السُّنَّة، ومن المُتَصَلِّبة في عقيدة أبي الحسن الأشعري، كالشيخ أبي بكر بن إسحاق الصِّبغي، والأستاذ أبي بكر بن فورك، والأستاذ أبي سهل الصعلوكي، وأمثالهم، وهؤلاء هم الذين كان يجالسهم في البحث، ويتكلم معهم في أصول الدِّيانات، وما يجري مجراها، ثم رأينا الحافظ الثبت أبا القاسم بن عساكر أثبته في عِداد الأشعريين.

وقال د. موفق بن عبدالقادر في مقدمة (سؤالات السجزي) ص (١٧): والمعروف أن الحاكم -رحمه الله تعالى- كان أشعري العقيدة اهـ. وفي (النبلاء) (١٣/ ٢٩٩) قال الذهبي: أنبأني أحمد بن سلامة عن حماد الحراني أنه سمع السِّلفي ينكر على الحاكم في قوله: لا تجوز الرواية عن ابن قتيبة. ويقول: ابن قتيبة من (الثقات) وأهل السُّنَّة. ثم قال: لكن الحاكم قصده لأجل المذهب اهـ. وفي (اللسان) (٥/ ١٠): قال السِّلفي: كان ابن قتيبة من (الثقات) وأهل السُّنَّة، ولكن الحاكم بضده من أجل المذهب اهـ.

قال الذهبي في (النبلاء) معلقًا على كلام السِّلفي: قلت: عهدي بالحاكم يميل إلى الكرامية؛ قال د. السَّلوم في مقدمة (المدخل إلى الإكليل) ص (٢٤، ٢٥): كلا؛ ما الحاكم بكرامي، ولا هو يميل إليهم؟! ولكنهم اتفقوا مع أهل السُّنَّة في أصل الإثبات، ثم هم غلوا في ذلك حتى انتهوا إلى التشبيه والتجسيم فيما قيل، واعتدل أهل السُّنَّة، ومنهم الحاكم، وابن قتيبة. وقال -أيضًا- ثم في هذا القول من الذهبي وهو الخبير بالرجال رد على الشيخ موفق بن عبدالقادر في زعمه أن الحاكم أشعري، أخذ ذلك من (طبقات السبكي) (٤/ ١٦٢)، والسبكي لو استطاع لعد الشافعي أشعريًّا، فلا يقبل قول هذا في أئمة السُّنَّة والحديث، فالحاكم -رحمه الله- على عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، السلف الصالح، والله أعلم اهـ.

• - أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي المنصوري، الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، ص ٩٦ - ٩٧، تقديم فضيلة الشيخ أ.د. سعد بن عبدالله الحميد، فضلية الشيخ د. حسن محمد مقبولي الأهدل، قدم له وراجعه ولخص أحكامه: فضيلة الشيخ أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

أبرز شيوخه

قال أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوي (ت ٤١٧ هـ): وليس يمكن حصر شيوخه، فإن (معجمه) على شيوخه يقرب من ألفي رجل. وقال عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر في كتابه (المختصر في أخبار البشر) (٢/ ١٤٤): بلغت عدة شيوخه نحو ألفين. وقال ابن عبدالهادي في (طبقاته) (٣/ ٢٣٧): سمع من قريب ألفي شيخ. وقال الذهبي في (التذكرة) (٣/ ١٠٣٩): سمع بالبلاد من ألفي شيخ أو نحو ذلك.

أبو الطيب: نايف بن صلاح بن علي المنصوري، الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، ص ٦١، دار العاصمة بالرياض.

أبرز تلامذته

لا شك أن من كانت بيئته البيئة التي سبق بيانها، ورحلته الرحلة التي شرحناها، أنه من الصعب حصر تلامذة من كان كذلك، علمًا بأنه ابتدأ بالإملاء وهو في سن ٣٤ من عمره، بل حكى بعضهم أنه حدَّث وله ٢٦سنة، واستمر على ذلك حتى قبيل موته، والناس في كل ذلك يأخذون عنه، وينهلون من معينه. قال السبكي في (طبقاته) (٤/ ١٥٧): رُحِل إليه من البلاد؛ لسعة علمه وروايته، واتفاق العلماء على أنه من أعلم الأئمة الذين حفظ الله بهم هذا الدين.

مذهبه

قال ابن الجزري في (غاية النهاية) (٢/ ١٨٥): أتقن الفقه للشافعي. وذكره في فقهاء الشافعية ابن الصلاح في (طبقاته) (١/ ٢٩٨)، والسبكي (٤/ ١٥٥)، والأسنوي (١/ ١٩٥)، وابن كثير (١/ ٣٥٨)، وابن قاضي شهبة (١/ ١٥٣)، وابن هداية الله ص (١٢٣)، وغيرهم.

أبو الطيب: نايف بن صلاح بن علي المنصوري، الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، ص ٩٧، دار العاصمة بالرياض.

أهم مصادر الباب الثاني ومراجعه

• أحمد مختار رمزي، سير أعلام المحدثين، دار البشائر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

• محمد أبو زهرة، مالك، ص ٨٩ - ٩٢.

• أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح)، الناشر: دار ابن حزم- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٠ م.

• الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، طبعة عام ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

• الدقر، عبدالغني: الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

• ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي: تاريخ دمشق، دار الفكر. دمشق.

• أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

• مجلة الأمة، شوال ١٤٠٢هـ.

• السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

• العَكري الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة دار ابن كثير.

• السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (المتوفى: ٩٠٢هـ): فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، تحقيق:علي حسين علي، مكتبة السنة - مصر، الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

• العباد البدر، عبدالمحسن بن حمد بن عبدالمحسن بن عبدالله ابن حمد: الإمام مسلم وصحيحه، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة الثالثة - العدد الأول، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

• ابن الصلاح، أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبدالرحمن، صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، (طبعة دار الغرب الإسلامي).

• شريف عبدالعزيز الزهيري، موقع الألوكة:

١- محنة الإمام مالك بن أنس.

٢- محنة الإمام ابن حبان.

٣- الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة.

• صحيحُ ابن خُزَيمة، أبو بكر ابنُ خزيمة ت: ٣١١هـ، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

• ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

• الموقع الرسمي للشيخ عماد فراج.

• مجلة الوعي الإسلامي: صحيح ابن حبان.

• د. محمد محمدي النورستاني، مجلة الوعي الإسلامي، معاقل العلم والعلماء (بُسْت) مدينة العظماء، عدد ٥٦٥، سنة ٢٠١٢م.

• مفكرة الإسلام: محنة الإمام ابن حبان.

• السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان، صحّحه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ترجمة المؤلف: ابن حبان.

• صحيح ابن حبان (المُسند الصحيح على التقاسيم والأنواع)، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان، مج الأول، تحقيق د: محمد علي سونمز، د: خالص آي دمير، دار ابن حزم

• برنامج فديوي (١٣ حلقة) عن رحلات أعلام المحدثين الكبار (رواة الحديث النبوي التسعة)، من إعداد وتقديم أ. سامي المغلوث.

تنبيه!

هناك تفصيل أوسع وأشمل لصفحة المصادر والمراجع في ملاحق الأطلس